جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

معهد العلوم الإسلامية

قسم أصول الدين

المقاصد الإيمانية في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير لابن باديس

مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر

في العلوم الإسلامية – تخصُّص: تفسير وعلوم قرآن

الطالب: المشرف:

– الطيب الزاوي – الدكتور: عبد القادر شكيمة

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
محمد الصالح غريسي	أستاذ مساعد . أ .	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	رئيسا
عبد القادر شكيمة	أستاذ محاضر . أ .	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	مشرفا ومقررا
نبيل بوراس	أستاذ مساعد . أ .	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	مناقشا

السنة الجامعية: 1440– 1441هـ/ 2019– 2020م

جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

معهد العلوم الإسلامية

قسم أصول الدين

المقاصد الإيمانية في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير لابن باديس

مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر

في العلوم الإسلامية – تخصُّص: تفسير وعلوم قرآن

الطالب: المشرف:

– الطيب الزاوي – الدكتور: عبد القادر شكيمة

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
محمد الصالح غريسي	أستاذ مساعد . أ .	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	رئيسا
عبد القادر شكيمة	أستاذ محاضر . أ .	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	مشرفا ومقررا
نبيل بوراس	أستاذ مساعد . أ .	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	مناقشا

السنة الجامعية: 1440– 1441هـ/ 2019– 2020م

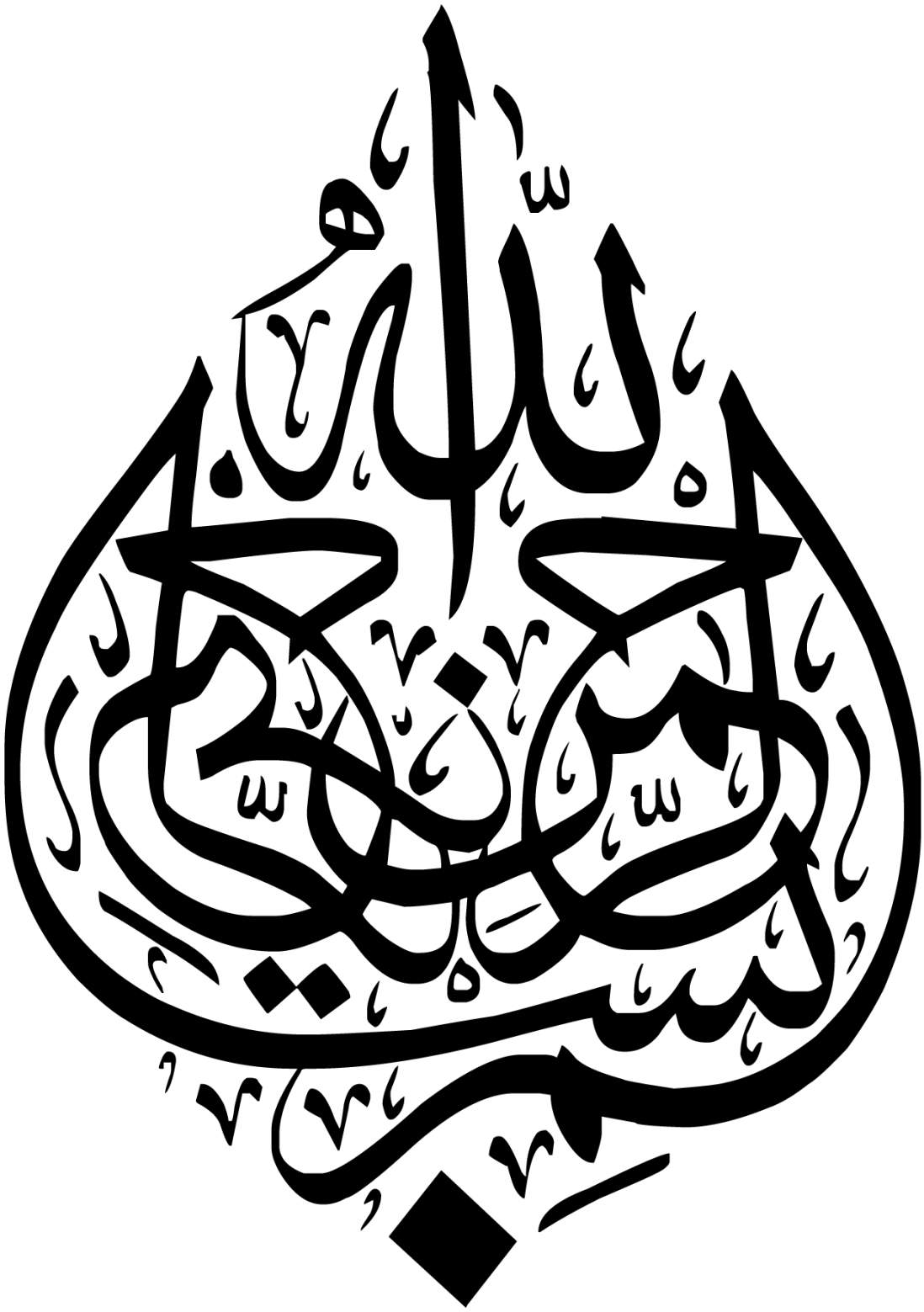

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى:

- عائلتي الكريمة.
- أساتذتي الأفاضل.

شكر وتقدير

أشكر الله عز وجل أن وفقني لإتمام هذا العمل.

وعملا بقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ، لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ». فإنني أتقدم بجزيل الشكر والتقدير والعرفان إلى:

-أستاذي الفاضل الدكتور عبد القادر شكيمة الذي رافقني طيلة أشواط البحث، ولم يبخل علي بنصائحه وإرشاداته.

-أساتذتي الكرام، أساتذة التفسير وعلوم القرآن، كلّ باسمه.

ملخص البحث:

تناولت في هذا البحث "المقاصد الإيمانية من مجالس التذكير لابن باديس "، حيث بدأت دراستي بترجمة موجزة لعبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس، الإمام المصلح المجدّد، وتعريفا بمجالس التذكير الذي تضمّن تفسيرا لبعض المواضع من القرآن الكريم له، وتحديدا لمعنى مقاصد القرآنية الإيمانية، في مبحث تمهيدي، ثم أتبعته بمباحث خمسة، كل واحد منها هو ركن من أركان الإيمان، هي: مقاصد الإيمان بالله، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والقدر، في كل مبحث منها درست مقاصد القرآن من تفسير ابن باديس.

أمَّا أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال دراستي فمنها:

- المقاصد الكبرى للقرآن الكريم عند الشيخ ابن باديس ثلاثة، هي: العقائد، الآداب، الأحكام.
- أعظم مقاصد القرآن الكريم، تعبيد الناس لله وحده، ولأجل هذا المقصد أنزلت الكتب وأرسلت الرسل.

Research Summary:

In this research I dealt with "the purposes of faith from the councils of remembrance of Ibn Badis", where I began my study with a brief wink about Abd al-Hamid bin Muhammad al-Mustafa bin Makki bin Badis' life, the reforming Imam, and an introduction to councils of remembrance that included an interpreting of some verses from the Noble Qur'an for him, specifically the meaning of the Qur'an's objectives Faith, in an introductory chapter, and then I followed it up with five chapters, each one of which is one of the pillars of faith, which are: the purposes of faith in Allah, the holy books, the messengers, the Last Day, and the destiny, in each of them I studied the objectives of the Qur'an from Ibn Badis's interpretation. Which I came up with through my studies, including:

- The major objectives of the Noble Qur'an according to Ibn Badis are three: beliefs, morals, and rulings.

- The greatest purpose of the Qur'an is people worshiping Allah alone, and for that sake, books were revealed and messengers were sent.

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمـــــــــــــــة:

الحمد لله الذي أكرم بالقرآن العالمين، فكان حجة وبرهانا على المعاندين المكابرين، وهدى وذكرى لعباده المتقين، أحمده تعالى حمد الذاكرين الشاكرين، وأصلي وأسلم على النبي الأمين محمد بن عبد الله – صلى الله عليه وسلم – إلى يوم الدين، بلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، أرسله الله وأيَّده بكتابه الكريم، فكان دُستورا ومنهجا قويما، أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العالمين، وأما بعد:

فإن شرف العلم بشرف موضوعه، وأشرف المواضيع ما تعلق منها بالقرآن الكريم، وقد عني بتفسيره واستنباط أحكامه وتحرير مقاصده وأغراضه جلّة من علماء المسلمين، ومن الأئمة المصلحين، ومن هؤلاء الإمام المصلح عبد الحميد بن باديس الذي أفنى عمره في الدعوة إلى الإصلاح، والإرشاد إلى طريق القرآن، وتقريبه وتفسيره

وانطلاقا من هذه الفكرة جاء عنوان مذكرتي:

" المقاصد الإيمانية في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير لابن باديس "

– إشكالية البحث:

يهتم البحث بكشف مقاصد القرآن الإيمانية في تفسير ابن باديس، وقد حاولت من خلال هذا البحث الإجابة عن هذه الإشكالات:

- ماذا نعني بالمقاصد الإيمانية وما علاقتها بمقاصد الشريعة؟
- هل فسّر ابن باديس كتاب الله مستحضرا المقاصد والغايات الكبرى التي نزل القرآن الكريم لأجلها ؟ وهل لمقاصد القرآن الإيمانية حضور في تفسير ابن باديس؟

– أهمية الموضوع:

تكمنُ أهمية هذا الموضوع في كونه يبحث في الغايات والمقاصد الكبرى لنزول القرآن الكريم، ويعالج أهمية الإيمان المرتبط بنصوص الوحي، وضرورة الارتباط بكتاب الله في معالجة الأزمات

التي تواجه الأمة، والاحتكام إليه والحذر من الإعراض عنه، خاصة في ظل الهجمات الشرسة التي يتعرض لها القرآن الكريم من طرف أعداء الأمّة والمتربصين بها.

- **أسباب اختيار الموضوع:**

أما عن الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع، فمنها:

- رغبتي الشخصية التعمق في علم مقاصد القرآن.
- الاشتغال بتفسير معاصر لأحد أهم وجوه الدعوة الإصلاحية في بلادنا.
- التعرف أكثر عن المقاصد الإيمانية، ومدى حرص ابن باديس عليها.

- **أهداف الدراسة:**

يرمي البحث إلى جملة من الأهداف أذكر منها:

- التعريف بالمقاصد القرآنية.
- إيضاح منهج ابن باديس في بيان مقاصد القرآن لاسيما الإيمانية منها.
- إثبات إحاطة منهج القرآن الكريم لكل ما يتعلق بحياة المسلم.
- فهم الإيمان فهما دقيقا بإبراز مقاصده في ثنايا القرآن الكريم.

- **خطة البحث:**

قسمت بحثيَ هذا إلى مقدمة و خمسة مباحث بعد مبحث تمهيدي وخاتمة؛ أما المقدمة فتناولت فيها أهمية الموضوع وإشكالية البحث بالإضافة إلى أسباب اختيار الموضوع وأهداف الدراسة والمنهج المتبع ثم الدراسات السابقة، في حين خصصت المبحث التمهيدي لتحديد مصطلحات البحث، حيث جاء مقسما إلى ثلاثة مطالب بحسب المصطلحات الواردة في البحث، تناولت في المطلب الأول ترجمة لابن باديس، وفي الثاني تعريفا بمجالس التذكير، أما المقاصد الإيمانية فقد تناولتها في المطلب الثالث، أما بقية المباحث الخمسة، فخصصتها للدراسة التطبيقية، فأما المبحث الأول فعن مقصد الإيمان بالله ، وفي المبحث الثاني مقصد الإيمان بالكتب، وفي الثالث مقصد الإيمان بالرسل، وخصصت المبحث الرابع للحديث عن مقصد الإيمان باليوم الآخر، والمبحث الخامس مقصد الإيمان بالقدر، وكل مبحث من هذه المباحث الخمسة، فيه ثلاثة مطالب، الأول فيه معنى الركن، والثاني، المقاصد الخاصة بالركن،

والثالث ثمرات مقصد الإيمان بهذا الركن، وأنهيت بحثي بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

- **المنهج المتبع:**

اتبعت في دراستي هذه المنهج الاستقرائي باستقراء المواضع التي أبرز فيها المفسّر المقاصد الإيمانية، والمنهج الوصفي التحليلي في دراسة هذه المقاصد.

- **أهم المراجع والمصادر المعتمدة:**

اعتمدت على عدة مصادر ومراجع لانجاز هذا البحث، وهي مذكورة في قائمة المصادر والمراجع، منها:

تفسير ابن باديس مجالس التذكير، والعقائد الإسلامية له.

كتب التفسير: تفسير ابن كثير، وتفسير الشنقيطي، وتفسير السعدي، وتفاسير أخرى.

كتب في العقائد: شرح الطحاوية وأعلام السنة المنشورة، وكتب أخرى لابن تيمية وابن القيم.

- **صعوبات البحث:**

اعترضتني مشاكل أثناء البحث، منها: قلة الدراسات الأكاديمية المتعلقة بمقاصد القرآن عامة، وانعدام ما تعلّق منها بالمقاصد الإيمانية، ومن المشاكل أيضا: النقص الفادح لتفسير ابن باديس، فليس فيه إلا تفسير لآيات متفرقة، مما صعّب الخروج بصورة مكتملة توضّح طريقة ابن باديس في عرض المقاصد الإيمانية.

- **طريقتي في كتابتي البحث:**

بعد قراءة تفسير ابن باديس واستخراج المواضع التي تعرّض فيها لمعاني الإيمان، سلكت في كتابة البحث الخطوات الآتية:

. قسمت البحث إلى مباحث، والمباحث إلى مطالب، والمطالب إلى فروع.

. قسمت مباحث البحث على حسب أركان الإيمان الستة المعروفة عند الصغير والكبير، ولم أتطرق إلى ركن الإيمان بالملائكة، لندرة الحديث عليه في تفسير ابن باديس.

. أثبت أقوال ابن باديس وقمت بدراستها، وختمت كل دراسة بنتيجة أراها زبدة ما توصّلت إليه.

. اعتمدت على مصحف ورش في نقل الآيات وعزوها إلى سورها وأرقامها في الصلب، حتى لا يطول الهامش.

. خرّجت جميع الأحاديث النبوية، فإن كان في الصحيحين أو أحدها، اكتفيت بالعزو إليهما مع ذكر الكتاب والباب فيهما، أما إن كان في غيرهما من كتب الحديث، صدّرت بالحكم عليه صحّة أو ضعفا، ثم عزوته إلى مصادره، ونقلت أحكام الأئمة عليه.

. ترجمة للأعلام في البحث بإيجاز، بما يزيل الإبهام عنهم.

. ختمت البحث بفهارس علمية للآيات والأحاديث والأعلام، تسهّل على القارئ الاطّلاع على ما يريده من البحث.

- **الدراسات السابقة:**

أما عن الدراسات التي عنت بهذا الموضوع، فلم أطّلع إلى غاية تحرير المذكرة، على من تطرّق إلى هذا الموضوع، إلا باحثا واحدا تناول الموضوع بشكل جزئي، وهو أ. د. عبد الله عثمان علي المنصوري، في بحثه " المقاصد الإيمانية في جزء قد سمع من خلال: (أيسر التفاسير لكلام العلي القدير) لأبي بكر جابر الجزائري"، وقد تواصلت معه فأفادني به، جزاه الله عني خيرا، وهو بحث منشور في مجلة جامعة القرآن الكريم، العدد: العاشر، جامعة صنعاء اليمن.

وكما هو ظاهر من العنوان، فإن الدراسة متعلّقة بالمقاصد الإيمانية عند مفسر، وبحثي متعلق بالمقاصد الإيمانية عند مفسر آخر، وقد استفدت من هذه الدراسة في الشكل وطريقة إبراز المقاصد.

ولا تخفى طريقة الاختلاف، فكل دراسة عنت بمفسّر.

هذا وإن كنت أصبت فيما بحثت وكتبت فمن الله وحده، فله الحمد والمنة، وإن كنت أخطأت، فمن نفسي والشيطان، فأسأل الله العفو والغفران، والله المستعان وعليه التكلان.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مبحث تمهيدي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ترجمة لابن باديس

المطلب الثاني: التعريف بمجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير.

المطلب الثالث: مقاصد القرآن الإيمانية.

مبحث تمهيدي:

وفيه يتم تحديد مصطلحات البحث، من ترجمة موجزة لصاحب الكتاب محل البحث، وتعريف بالكتاب، وبالمقاصد التي يراد استخراجها منه.

المطلب الأول: ترجمة ابن باديس.

الفرع الأول : اسمه ونسبه.

هو عبد الحميد ابن باديس بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس، وابن زهرة بنت علي بن جلول[1]. تعد عائلته من العائلات العريقة في الحسب والنسب، حيث تعود جذورها إلى عائلة بلكين بن زيري[2]، وقبيلة صنهاجة[3] الأمازيغية، وهي من العائلات المشهورة بالعلم والثراء في الجزائر والمغرب العربي، فقد لعبت دورا كبيرا في تاريخ المغرب الإسلامي سياسيا وعلميا ودينيا، وتولى أفرادها السلطة بعد انتقال مقر الخلافة الفاطمية من القيروان إلى مصر في القرن الرابع الهجري، حيث أسند الخليفة الفاطمي المعز لدين الله[4]، السلطة على افريقية والمغرب الأوسط (الجزائر) إلى الجد الأول لأسرة ابن باديس، وهو بلكين بن زيري بن مناد المكنى بأبي الفتوح، ومن شخصيات أسرته أيضا، عمه حميدة بن باديس الذي كان نائبا عماليا عن مدينة قسنطينة لفترة من حياته، أما الذين اشتهروا من الناحية العلمية والفكرية نذكر منهم أبو عباس حميدة قاضي قسنطينة والشيخ عمي بن باديس الذي تولى القضاء (1940م . 1913م)[5].

---

[1] عبد الرشيد زروقة: جهاد عبد الحميد بن باديس ضد الاستعمار، دار الشهاب، ط1، لبنان،1999م، ص 77.

[2] . ولاه المعز لدين الله العبيدي، أمر إفريقيا والمغرب، وكناه أبا الفتوح، امتدت فترة حكمه من 362 هـ ، إلى وفاته 373 هـ، للمزيد انظر: عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، ط 2، الإسكندرية، 1999 م، ص 555.

[3] . من قبائل البربر في المغرب العربي، وجاء على ذكرهم ابن خلدون في تاريخه، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط: 2، 1408 هـ - 1988 م، ج1، ص16.

[4] . أبو تميم معد الملقب بالمعز لدين الله الفاطمي، تولى الخلافة سنة 341 هـ، ونقلها إلى مصر، توفي سنة 365 هـ، للمزيد انظر: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص 546.

[5] . تركي رابح عمامرة، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي، ط5، 2001م، ص 154 . 155.

وأبوه هو السيد محمد بن مكي بن باديس من أعيان مدينة قسنطينة، كان عضوا في المجلس الأعلى، وعضوا في المجلس العلمي، وعرف دائما بدفاعه عن مطالب السكان المسلمين بعمالة قسنطينة[1]، يتمتع بمكانة مرموقة ومنزلة عالية لدى السلطات الفرنسية إذ كان يعمل آغا ونائبا ساميا في عدة دوائر انتخابية ومالية[2]، ويرى بعض المؤرخين أن ارتباط والد عبد الحميد بن باديس بالحكومة الفرنسية لم يكن مشرِّفا بعمله في النيابات التي كانت من أرفع المناصب التي يمكن أن ينالها الجزائري في ذلك الوقت[3]، غير أن الشيخ ابن باديس يذكر فضل والده عليه وتوجيهه للدراسة الدينية ورعايته له في الحفل الذي أقيم في قسنطينة بمناسبة ختمه لتفسير القرآن الكريم، حيث قال في هذا الصدد: " إن الفضل يرجع أولاً إلى والدي الذي ربَّاني تربية صالحة ووجهني وجهة صالحة. ورضي لي العلم طريقة اتبعها ومشربا أرده وقاتني وأعاشني وبراني كالسهم وراشني وحماني من المكاره صغيرا وكبيرا. وكفاني كلف الحياة فلأشكرنّه بلساني ولسانكم ما وسعني الشكر. ولأكل ما عجزت عنه من ذلك لله الذي لا يضيع جزاء العاملين[4].

وأمه زهرة بنت محمد بن عبد الجليل بن جلول، تنتمي إلى بيت من البيوت العريقة والمشهورة في قسنطينة، وتنحدر من قبيلة معاق الأوراسية، حيث تميزت هذه الأسرة بالجاه والعلم والسياسة، وقد مثلت المجتمع القسنطيني في النيابة والمجالس المحلية[5]، وكان للشيخ عبد الحميد ستة إخوة أربعة ذكور وبنتان، وكان هو البكر عند والده[6].

---

(1) عمار طالبي، آثار ابن باديس، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ط: 1، 1968م، ج1، ص72.

(2) عبد الرشيد زروقة، مرجع سابق، ص79.

(3) جريدة الشهاب، ج14، م 14، ربيع الثاني، جمادى الأولى 1257هـ يونيو، يوليو 1928م، ص308.

(4) . مازن صلاح المطبقاني، عبد الحميد بن باديس العالم الرباني، والزعيم السياسي، دار القلم، ط2، دمشق، 1999م، ص28.

(5) عبد العزيز فيلالي، وثائق جديدة من جوانب خفية في حياة الإمام عبد الحميد بن باديس، ص8.

(6) . الذكور هم: الزوبير، عبد المليك، محمود، عبد الحق، أما البنات فهم: نفيسة والبتول.

الفرع الثاني: مولده ونشأته.

ولد ابن باديس بمدينة قسنطينة[1] يوم الاربعاء 10 ربيع الثاني 1308هـ الموافق لـ04 ديسمبر 1989م[2].

وقد اختلف في سنة ولادة ابن باديس ـ رحمه الله ـ حيث ورد في الأعلام للزّركلي أنه ولد سنة 1305هـ -1887م[3]، وهو غير صحيح، وهذا نفسه ورد في معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة[4]. إذ جاء تاريخ ميلاده واضحا في بطاقة التعريف الخاصة به، والتي سلمت له من قبل السلطات الفرنسية آنذاك[5]، وقد كان ـ رحمه الله ـ الابن البكر لوالديه الكريمين[6].

وفي هذه العائلة المشتهرة بالدين والعلم ترعرع ابن باديس، فوالده محمد المصطفى الذي كان " يحفظ القرآن ويحب أهله"[7] ورغم مركزه الاجتماعي المرموق الذي حظي به في الوظيف الإداري الاستعماري، لم يلحقه بالمدرسة الفرنسية شأن تلاده وأنداده من أهل المدينة، وإنما وجهه للمكتب القرآني ليتعلم القرآن الكريم على الطريقة التقليدية، حتى يكون هذا الكتاب السماوي الحصن الذي يعتصم به في حياته، والمنار الذي يرتفع في طريقه[8]. بعيدا عن توجيهات المدارس الفرنسية، وانحرافاتها الدينية والثقافية والأخلاقية والوطنية، رغم إمكانية

---

(1) وهي من أقدم المدن في الجزائر تعرف بمدينة العلم والثقافة، تقع شرق العاصمة وتبعد عنها بأكثر من 400كلم، ينظر: https://www.marefa.org/ولاية_قسنطينة. تاريخ الدخول: 2020/08/22 م، 18:08.

(2) تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، اعتنى به: أبو عبد الرحمن محمود، مج 1، دار الرشيد، الجزائر، دار ابن حزم، بيروت، ط 2، 2011م، ص: 35، ينظر :محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر، وزارة الثقافة الجزائر، 2007، ص09.

(3) . خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط:15 ، 2002 م، ج3، ص289.

(4) . عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي، معجم المؤلفين ، مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، ج5، ص105.

(5) . ينظر: تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، ص520.

(6) . ينظر: تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، الشركة الوطنية، الجزائر، ط2، 1974، ص157.

(7) . أحمد حماني: صراع بين السنة والبدعة، ج2، ص232.

(8) . محمد الصالح الصديق: جهاد ومواقف، مجلة الوعي، ص13.

التحاقه بها، ولهذا قال ابن باديس عن أصالة تعليمه الديني والعربي غنية عن أشهر المدارس الفرنسية: " من حظي أنني ما عرفت (باكولتيه) ولا (إيكولا بوليتينا) ولا (سانسيرا) وإنما أنا رجل طالب قرآن حفظته في أول بلوغي وأنا لا أفهمه "[1]. وكان ذلك على يد الشيخ محمد المداسي[2]. حيث أنهى حفظه وعمره لا يتجاوز ثلاث عشرة سنة، ونظرا لما كان يتميز به ابن باديس من أخلاق حميدة، وذكاء وهّاج، قدّمه شيخه المداسي لإمامة المصلين في صلاة التراويح بالجامع الكبير بقسنطينة، ثلاث سنوات متوالية[3].

ولم ينقل أحد من الذين ترجموا له زمن تعلمه للكتابة والقراءة، وعلى يد من كان ذلك؟ ولربما نشأته في بيت علم ودين هو الذي جعل صاحب كتاب: " جهاد عبد الحميد بن باديس ضد الاستعمار"، يرجح تعلمه ذلك على يد والده الذي كان حريصا كل الحرص على تربيته تربية علميّة صالحة[4].

الفرع الثالث: طلبه للعلم ورحلته فيه.

بدأ ابن باديس حياته العلمية شأن الأفذاذ من العلماء، فبعد حفظه القرآن الكريم على يد شيخه المداسي[5] في صغره، أخذ مبادئ العلوم الشرعية على يد شيخه حمدان الونيسي[6]، وبعد دخوله مرحلة الشباب اقتدى بسنّة العلماء مفضلا البعد والغربة والديار بواسطة الرحلة إلى طلب العلم وحب الاطّلاع على أحوال الغير ومعرفة ثقافته، فسافر إلى جامع الزيتونة بتونس في سنة 1326 هـ . 1908م، وعمره تسعة عشر عاما[7]، وإن عزم في البداية أن يرحل إلى الحجاز رفقة شيخه حمدان الونيسي، وصرفه والده وأرسله إلى تونس، هناك تلقى العلم على

---

[1] آثَارُ ابْنُ بَادِيسَ، تح: عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ط: 1، عام 1388 هـ- 1968 م، ج4، ص46.

[2] . ينظر: أحمد حماني: صراع بين السنة والبدعة، ج1، ص74.

[3] الآثار، 1، ص74.

[4] ينظر: عبد الرشيد زروقة: جهاد الإمام ابن باديس ضد الاستعمار، ص 79.

[5] لم أعثر له عن ترجمة.

[6] عالم، من زعماء حركة القومية الاسلامية في الجزائر، من أهل قسنطينة، درس بها، ثم هاجر الى الديار المقدسة بعد اعلان الدستور العثماني سنة 1908 م واستقر بالمدينة الى ان مات. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت لبنان، 1980، ط: 2، ج1، ص 346.

[7] . ينظر: تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، ص 155 ت 156.

فطاحلة من العلماء من أمثال: الطاهر بن عاشور[1]، ومحمد النخلي[2]، وكانت مدة الطلب أربع سنوات، ليتحصل على شهادة التطويع[3] سنة 1911م . 1912م، وعمره ثلاث وعشرون سنة[4]، ليتفرّغ ويتّصل خصّيصا بشيخيه: محمد الطاهر بن عاشور ومحمد النّخلي، ذلك الاتصال الذي كان له أكبر الأثر على الوجهة الفكرية للشيخ . رحمه الله . فصاحب ابن باديس شيوخه هناك قرابة السنتين[5].

وفي عام 1913م عاد ابن باديس إلى مسقط رأسه قسنطينة، فاحتفلت به أسرته، احتفالا كبيرا، واستقبله والده أحسن استقبال، فشرع على الفور يبذر ماجناه من علم حتى تؤتي الثمرة أكلها، وشرع يدرس كتاب " الشّفا " للقاضي عياض[6]، لكن هذا العمل لم يدم نتيجة لتحرّك آلة الحسد فعمل أعداؤه على منعه أثناء تدريسه[7].

وفي العام نفسه الذي رجع فيه من تونس خطرت له فكرة القيام برحلة إلى الحجاز والمشرق العربي، فقصد بيت الله الحرام للحجّ ثم مكث بالمدينة المنوّرة ثلاثة أشهر ألقى فيها دروسا عديدة في مسجد رسول الله . صلى الله عليه وسلم . والتقى بشيخه السابق الأستاذ حمدان

---

(1) محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها. عين (عام 1932) شيخا للإسلام مالكيا. وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة، من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن. الأعلام (6/ 174).

(2) أبو عبد الله الشيخ محمَّد النّخلي القيرواني: العلّامة،كان نقاداً خبيراً أستاذاً كبيراً ميّالاً لتحقيق المباحث. دخل جامع الزيتونة سنة 1304 هـ. تصدر للتدريس وتخرج عليه الكثير. توفي بتونس في رجب سنة 1342 هـ. محمد مخلوف ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتب العلمية، لبنان، ط: 1، 1424 هـ - 2003 م، ج1، 605.

(3) وهي شهادة عالية عالمية، تؤهل صاحبها لإقراء العلوم تطوعاً بجامع الزيتونة بعد استصداره إذناً من شيوخ النظارة العلمية، انظر: شجرة النور الزكية، ج2، ص199.

(4) آثار ابن باديس (1/ 76).

(5) المرجع نفسه (1/ 75).

(6) أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض ابن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي؛ كان إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم وصنف التصانيف المفيدة منها " الإكمال في شرح كتاب مسلم " ؛ وتولى القضاء بغرناطة، توفي بمراكش سنة (544). ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ج3، ص484 . 485.

(7) ينظر: تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس، ص163.

الونيسي[1]. هناك تعرف لأول مرة على البشير الإبراهيمي[2] العالم والكاتب والأديب الجزائري فتذكر واقع الجزائر، وما ينبغي أن يعمل لانتشالها من سوء الوضع، وقد ربطت بينهما صداقة متينة، كانت ثمرتها الإصلاح الذي شهدته الجزائر فيما بعد، يقول الإبراهيمي متحدثا عن لقائه بابن باديس: "كان من تدابير الأقدار الإلهيّة للجزائر، ومن مخبّآت الغيوب لها أن يرد عليّ بعد استقراري في المدينة المنوّرة سنة وبضعة أشهر أخي ورفيقي في الجهاد بعد ذلك، الشيخ عبد الحميد بن باديس، أعلم علماء الشمال الافريقي، ولا أغالي، وباني النّهضات العلمية والأدبية والاجتماعية والسياسية للجزائر... كنا نؤدّي فريضة العشاء الأخيرة كل ليلة في المسجد النبوي، ونخرج إلى منزلي، فنسمر مع الشيخ ابن باديس، منفردين إلى آخر الليل... كانت هذه الأسمار المتواصلة كلها تدبيرًا للوسائل التي تنهض بها الجزائر، ووضع البرامج المفصّلة لتلك النهضات الشاملة التي كانت كلها صورًا ذهنية تتراءى في مخيلتينا... وأشهد الله على أن تلك الليالي من سنة 1913 ميلادية هي التي وُضعت فيها الأسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي لم تبرز للوجود إلا في سنة 1931م[3].

وقد تعرف ابن باديس ـ رحمه الله ـ خلال هذه المرحلة بحسين أحمد الهندي[4] وأشار إليه بعدم تلبية رغبة أستاذه الونيسي بالبقاء هناك، وأنه من الضروري أن يعود إلى الجزائر لحاجتها إلى علمه وعمله، وكذلك من أجل الإصلاح[1].

---

[1] المرجع نفسه، ص 164.

[2] محمد بن البشير بن عمر الإبراهيمي، رئيس جمعية العلماء المسلمين، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، خطيب، من الكتاب البلغاء، العلماء بالأدب والتاريخ واللغة وعلوم الدين. ولد ب "أولاد إبراهيم "بسطيف. هاجر إلى المدينة المنورة 1911م. ثم انتقل إلى دمشق سنة 1917م. كما شارك في تأسيس المجمع العلمي العربي سنة 1921م. وفي نفس السنة عاد إلى الجزائر وانقطع للخدمة العامة مع رائد النهضة ابن باديس وصحبه. ولما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931كان من أبرز مؤسسيها وانتخب نائبا للرئيس عبد الحميد بن باديس. اعتقل وسجن وعذب سنة 1945. وفي سنة 1952 رحل إلى المشرق وجال في أكثر بلدانه ثم استقر بالقاهرة. وإثر استقلال الجزائر عاد إليها وأقام بالعاصمة مريضا وقد هده الجهد والإعياء إلى أن توفي. من آثاره "عيون البصائر". معجم أعلام الجزائر، ج1، ص14.

[3] " آثَارُ الإمَام مُحَمَّد البَشِير الإبْرَاهِيمِي "، جمع وتقديم: نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط: 1، 1997م، ج5، ص278.

[4] لم أعثر له على ترجمة.

أثناء عودة ابن باديس إلى الجزائر طاف بعدة أقطار عربية فزار سوريا ولبنان ومصر، واجتمع برجال الفكر والأدب فيها، وزار الأزهر ووقف على أساليب الدراسة فيه، واتصل بشيخ الأزهر محمد بخيت المطيعي[2] في داره بحلوان، وحمل له كتاب توصية من الشيخ حمدان الونيسي، ثم دخل الإسكندرية وزار محمدا أبا الفضل الجيزاوي[3]، وهو شيخ علماء الإسكندرية[4].

الفرع الرابع: شيوخه وتلاميذه.

من أشهر شيوخ ابن باديس نذكر منهم:

1 . الشيخ محمد المداسي: هو الذي حفظ على يديه القرآن الكريم، بمدينة قسنطينة، وأول معلم لعبد الحميد بن باديس.

2 . الشيخ أحمد أبو حمدان الونيسي: وهو الأستاذ الذي تلقى عليه دراسته الابتدائية في اللغة العربية، والثقافة الإسلامية قبل أن يسافر للدراسة في جامع الزيتونة بتونس سنة 1908م[5].

3 . الأستاذ محمد النخلي القيرواني :أستاذ بجامع الزيتونة وزعيم النهضة الفكرية به.

4 . الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور :أستاذ وباعث النهضة الإصلاحية بالجامع الأعظم[6].

5 . الأستاذ محمد الخضر بن الحسين[1]: الذي درس عليه بالزيتونة، وفي منزله بتونس قبل أن يهاجر إلى المشرق العربي ويستقر به، وآخرون[2].

---

[1] الزبير بن رحال، الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية، ص25.

[2] محمد بخيت بن حسين المطيعي الحنفي، مفتي الديار المصرية، ومن كبار فقهائها. ولد 1854 م في بلدة (المطيعة) من أعمال أسيوط. وتعلم في الأزهر، واشتغل بالتدريس فيه. وانتقل إلى القضاء الشرعي سنة 1297 واتصل بالسيد جمال الدين الأفغاني. ثم كان من أشد المعارضين لحركة الإصلاح التي قام بها الشيخ محمد عبده. وعين مفتيا للديار المصرية سنة (1914 - 1921 م) ولزم بيته يفتي ويفيد إلى أن توفي بالقاهرة سنة 1935م. الأعلام، ج6، ص50.

[3] محمد أبو الفضل الوراقي الجيزاوي: شيخ الجامع الأزهر. فقيه مالكي، عالم بالأصول. من أهل مصر. ولد في ورّاق الحضر (من ضواحي القاهرة) سنة 1847م وتربى وتعلم في الأزهر. وأذن له بالتدريس سنة 1287م. وعين شيخا لمعهد الإسكندرية، ثم رئيسا لمشيخة الأزهر والمعاهد الدينية بالقاهرة، وشيخا للمالكية. وظل في هذا المنصب إلى وفاته بالقاهرة سنة 1927م. الأعلام، ج6، ص330.

[4] الزبير بن رحال، الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية، ص158.

[5] تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، ص31.

[6] محمود الشيخ، رجال الإصلاح، دار اليازوري، عمان، دط، 2007م، ص 178.

وأما تلاميذه فمن أبرزهم:

1- مبارك الميلي[3].

2- الفضيل الورثلاني[4].

3- الهادي السنوسي[5]. وآخرون[6].

الفرع الخامس: مؤلفاته.

وقد جُمع كثيرٌ من آثاره العلمية بعد وفاته، نذكر منها ما يلي:

أ . تفسير ابن باديس: الذي نشره الأستاذان: محمد الصالح وتوفيق محمد، نقلاً عن (مجالس التذكير) الذي طبع ونشر سنة 1948م.

---

[1] محمد الخضر بن الحسين بن علي بن عمر الحسني التونسي: عالم إسلامي، وممن تولوا مشيخة الأزهر. ولد في نفطة سنة 1876من وانتقل إلى تونس مع أبيه وتخرج بجامع الزيتونة، ودرّس فيه. زار الجزائر ثلاث مرات، ويقال: أصله منها. ورحل إلى دمشق ومنها إلى الآستانة. استقر في دمشق مدرسا. وانتدبته الحكومة العثمانية للسفر إلى برلين، وتوفي بالقاهرة سنة 1958 م. الأعلام، ج6، ص113.

[2] منهم: محمد الصادق النيفر وسعيد العياضي ومحمد القاضي وأبو محمد بلحسن بن الشيخ المفتي النجار والأستاذ البشير صفر، ينظر: تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي في الجزائر، ص 158.

[3] مبارك بن محمد بن مبارك الهلالي الميلي: مؤرخ، كاتب، من رجال الإصلاح. ولد في ميلية سنة 1898م، وتعلم بتونس، فتخرج في جامع الزيتونة بشهادة التطويع. وتأسست جمعية العلماء 1931م فكان من أقطابها، يطلق عليه فيلسوف الحركة الاصلاحية ."من آثاره" تاريخ الجزائر في القديم والحديث". و"رسالة الشرك ومظاهره "، توفي سنة1945. معجم أعلام الجزائر، ج1، ص365.

[4] الفضيل الورثيلاني، ويقال، الورثلاني :خطيب، من رجال السياسة، ولد في قبيلة بني ورثيلان، من دائرة سطيف، واستكمل دراسته على ابن باديس في قسنطينة. انتقل الى القاهرة- والحرب العالمية الثانية علي الأبواب- وأخذ يدعو الى مقاومة الاستعمار الفرنسي في أقطار المغرب العربي. سافر إلى تركيا ومات سنة 1959م باسطنبول. من آثاره "الجزائر الثائرة". معجم أعلام الجزائر، ج1، ص340.

[5] محمد الهادي السنوسي الزاهري :من الشعراء الادباء. ولد سنة 1920 م في قرية ليانة قرب بسكرة. تعلم بقسنطينة وتونس، وشارك بقلمه في النهضة الاصلاحية. لم يطبع له ديوان، وقصائده موزعة- في الصحافة الجزائرية. من آثاره "شعراء الجزائر في العصر الحاضر". معجم أعلام الجزائر، ج1، ص185.

[6] منهم: باعزيز بن عمر، محمد الصالح بن عتيق، محمد الصالح رمضان، موسى الأحمدي. ينظر: تفسير ابن باديس ص37.

ب . (مجالس التذكير من حديث البشير النذير): وقد طبعته وزارة الشؤون الدينية بالجزائر، سنة 1403هـ - 1983م.

جـ . (العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية): وهي الدروس التي كان يمليها الأستاذ ابن باديس على تلاميذه، في أصول العقائد الإسلامية وأدلتها من القرآن والسنة النبوية على الطريقة السلفية، وقد جمعها وعلق عليها تلميذه البار الأستاذ محمد الصالح رمضان[1].

د . كتاب (رجال السلف ونساؤه): وهي مجموعة من المقالات ترجم فيها ابن باديس لبعض الصحابة رضوان الله عليهم، وما لهم من صفات اكتسبوها من الإسلام، وما كان من أعمالهم في سبيله، نشر تلك التراجم في مجلة (الشهاب).

هـ . كما حقق ابن باديس كتاب (العواصم من القواصم): للإمام ابن العربي[2]، وقدّم له وطبعه سنة 1928م، في جزأين بمطابع الشهاب بقسنطينة.

و . ترجم ابن باديس لكثير من أعلام الإسلام من السلف والخلف، في صفحات مجلة الشهاب، جمعت تحت عنوان (تراجم أعلام).

وقد قامت وزارة الشؤون الدينية في الجزائر بجمع كثير ممّا حوته صحافة الجمعية من نشاطات ابن باديس في مجالات: التربية والتعليم، والرحلات التي كان يقوم بها داخل الوطن لنشر دعوته، إضافة إلى ما ذكرنا من آثاره العلمية، تحت عنوان: (آثار الإمام عبد الحميد بن باديس).

ولعله من الأهمية بمكان أن نذكر في هذا المبحث، أن الشيخ ابن باديس رحمه الله، كان يطالع معظم الجرائد والمجلات التي تصدر في الجزائر سواء باللغة العربية أو باللغة الفرنسية، التي

---

(1) لم اعثر له على ترجمة.

(2) أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد، المعروف بابن العربي المعافري الأندلسي الإشبيلي الحافظ المشهور؛ ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها، رحل إلى المشرق مع أبيه، ثم عاد إلى الأندلس سنة ثلاث وتسعين، وقدم إلى إشبيلية بعلم كثير لم يدخله أحد قبله ممن كانت له رحلة إلى المشرق. ولد سنة 468. وتوفي سنة 543، ينظر: وفيات الأعيان (296/4)، والديباج المذهب (281)، وشذرات الذهب(141/4).

كان يقرأ بها ولا يتكلّمها، ويردّ عليها بما يراه مناسبًا، كما كان يحاور ويناظر المستشرقين العاملين في سلك الحكومة في الجزائر آنذاك، ويظهر لهم عظمة الإسلام ومحاسنه[1].

الفرع السادس: وفاته.

لقد كان ابن باديس ذا شخصية عظيمة، تركت بصمتها في التاريخ الجزائري خاصة والعالم الإسلامي والعربي عامة، فقد كرس معظم حياته لقصة الإسلام والعروبة سعيا منه في محاولة إخراج الأمة من غياهب الجهل والظلام، ومن أجل تكوين نهضة عربية إسلامية في الجزائر إلى غاية لفظ أنفاسه الأخيرة في ليلة الثلاثاء الثامن من ربيع الأول سنة 1359 هـ الموافق ل 16 أفريل سنة 1940 م بمسقط رأسه مدينة قسنطينة ، تاركا فراغا كبيرا لدى المجتمع الجزائري[2].

كيف لا وهو ابن باديس، المصلح المجدد، باني النهضة العلمية والفكرية في الجزائر، وإنه وإن كانت هذه الألقاب كثيرا ما تكون مبالغا فيها، عند وصف أصحابها في تاريخ أمتنا، إلا أن ثلة قليلة تصدق عليهم هذه الألقاب، وابن باديس من هذه الثلة المباركة، فرحمه الله رحمة واسعة.

المطلب الثاني: التعريف بمجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير.

الفرع الأول: اسم الكتاب.

عند الاطلاع على مختلف طبعات الكتاب، نجد اختلافا في تسمية الكتاب، فكل طبعة وضعت له اسما، فجاء على ثلاثة أسماء هي:

1. مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير[3].
2. تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير[4].
3. تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير[5].

---

[1] عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية"، مصطفى محمد حميداتو، من منشورات: كتاب الأمة، العد:57، قطر، 1418 هـ، ط: 1، ص82.

[2] تركي رابح عمامرة، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة العربية الإسلامية، ص109.

[3] من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ط1، دار البعث، 1402هـ. 1982م، قسنطينة الجزائر.

[4] جمع وترتيب: توفيق محمد شاهين، محمد الصالح رمضان، علق عليه وخرج آياته وأحاديثه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط2، 1423هـ. 2003م.

[5] اعتنى به وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبد الرحمن محمود، دار الرشيد، ط1، 1430هـ. 2009م.

والحقيقة أن هذا الاختلاف لا يضر، فاسم التفسير: ((هو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير))، وهذا الذي نص عليه البشير الإبراهيمي، صاحب المؤلف ورفيق دربه، فقال رحمه الله: " مجالس التذكير * هذا هو العنوان الذي كان يضعه الأستاذ الرَّئِيسُ عبد الحمد بن باديس- رحمه الله- لما يكتبه بقلمه البليغ في تفسير بعض الآيات القرآنية الجامعة ويجعله فواتح لأعداد مجلة "الشهاب" وهي لمع لامعة في التفسير، يتمنى قارئها عند كل جملة منها لو أن الأستاذ أتمّ تفسير القرآن كله كتابة، كما أتمّه درسًا على تلك الطريقة وبذلك التحليل، إذ يرى أسلوبًا مشرق الجوانب بنور العلم لا يفوقه في الروعة إلا حسن فهم كاتبه للقرآن"[1].

وهذ العنوان: " مجالس التذكير "، كان الشيخ يجعلها فواتحا لأعداد مجلته الشهاب. ودامت هذه الفواتح من عدد كانون الثاني 1929م إلى عدد أيلول 1939م، على أبواب الحرب العالمية الثانية[2].

ولعل شهرته بتفسير ابن باديس من شهرة صاحبه، كتفسير ابن كثير، واسمه " تفسير القرآن العظيم "، وتفسير الطبري واسمه " جامع البيان في تأويل آي القرآن ".

الفرع الثاني: مجالس التذكير الشفوي.

فسّر ابن باديس القرآن شفويا، وكان هذا التفسير على نوعين: أحدهما لطلابه، والآخر لعامة الناس، " فسر القرآن الكريم كله في خمس وعشرين سنة، أي ما يوازي مدة نزوله، واشتغل بتأليف الرجال عن تأليف الكتب، فلم يبق من تفسيره سوى هذا القدر الباقي في مجالس التذكير، مما كان ينشر في مجلة الشهاب، وهناك فرق كبير بين التفسير الخاص لطلابه، والعام في الوعظ والإرشاد، وما كان يكتب في مجالس التذكير ليقرأه العام والخاص " [3].

غير أن ابن باديس لم يكتب ذلك التفسير الشفوي، وقد تحسر الإبراهيمي على ذلك، فقال: " وكان يرى- حين تصدى لتفسير القرآن- أن تدوين التفسير بالكتابة مشغلة عن

---

[1] الإبراهيمي،" آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي "، جمع وتقديم: نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط: 1، 1997م، ج2، ص254.

[2] انظر: مقدمة بقلم المفكر مالك بن نبي، آثار ابن باديس، ج1، ص12.

[3] من مقدمة طبعة دار الكتب العلمية، ص9.

العمل المقدم؛ لذلك آثر البدء بتفسيره درسا تسمعه الجماهير فتتعجل من الاهتداء به ما يتعجله المريض المنهك من الدواء، وما يتعجله المسافر العجلان من الزاد.

وكان- رحمه الله- يستطيع أن يجمع بين الحسنيين، لولا أنه كان مشغولا مع ذلك بتعليم جيل، وتربية أمة، ومكافحة أمية، ومعالجة أمراض اجتماعية، ومصارعة استعمار يؤيدها.

فاقتصر على تفسير القرآن درسا ينهل منه الصادي، ويتزود منه الرائح والغادي، وعكف عليه إلى أن ختمه في خمس وعشرين سنة. ولم يختم التفسير درسا ودراية بهذا الوطن غيره، منذ ختمه "أبو عبد الله الشريف التلمساني" في المائة الثامنة[1].

وحين أتم ابن باديس ختم القرآن تفسيرا، احتفى به العلماء بل الأمة الجزائرية كلها، وقد عرفت قيمة ما أتمّ الله على يد الأستاذ فاحتفلت بهذا الختم كأعظم ما تحتفل أمّة ناهضة بأثر ناجح من آثار جهودها.

ويوثق هذا الاحتفال الشاعر محمد العيد آل خليفة في قصيدة طويلة، هذه أبيات منها:

بمثلـــــك تعتز البـــلاد وتفخـــر ...*... وتزهر بالعلم المنـــير وتزخـــر

طبعت على العلم النفـــوس نواشئا ...*... بمخبر صدق لا يدان مخـــــبر

ودرسك في التفسير أشهى من الجنى ...*... وأبهى من الروض النضير وأبهر

ختمت كتاب الله ختمـــــة دارس ...*... بصير له حل العويص ميســـر

فكم لك في القرآن فهـــــم موفق ...*... وكم لك في القرآن قول محرر

(قسمطينة) اعتزت بأن وفـــدوها ...*... على الخير فيها والهدى تتجمهر[2].

الفرع الثالث: المصادر التي اعتمدها في تفسيره.

قد بينها الإمام في مقدمة تفسيره، ومن أهم هذه المصادر:

1 - تفسير "ابن جرير الطبري"[1]، الذي يمتاز بالتفاسير النقلية السلفية، وبأسلوبه الترّسّلي البليغ في بيان معنى الآيات القرآنية، وبترجيحاته لأولى الأقوال عنده بالصواب.

---

[1] آثار الإبراهيمي، ج2، ص 252.

[2] ديوان محمد العيد آل خليفة، دار الهدى، عين مليلة – الجزائر، 2010م، ص146.

2 – وتفسير "الكشاف"[2] الذي يمتاز بذوقه البياني في الأسلوب القرآني، وتطبيقه فنون البلاغة على آيات الكتاب، والتنظير لها بكلام العرب، واستعمالها في أفانين الكلام.

3 – وتفسير "أبي حيان الأندلسي"[3] الذي يمتاز بتحقيقاته النحوية واللغوية، وتوجيهه للقراءات.

4 – وتفسير "الرازي"[4] الذي يمتاز ببحوثه في العلوم الكونية، مما يتعلق بالجماد والنبات والحيوان والإنسان، وفي العلوم الكلامية، ومقالات الفرق، والمناظرة والحجاج في ذلك.

إلى غير هذا مما لا بد لنا من مراجعته من كتب التفسير والحديث والأحكام، وغيرها مما يقتضيه المقام[5].

الفرع الرابع: جمعه وأشهر طبعاته.

أشهر طبعات الكتاب:

1- نشر أحمد بوشمال الذي جرد من تلك المجالس آيات مختارة من سورة الفرقان فقط، وطبعت بالمطبعة الجزائرية بقسنطينة سنة1367هـ-1948م مصدرة بمقدمة بقلم الإبراهيمي.

2- نشر محمد الصالح رمضان بمشاركة توفيق محمد شاهين المصري اللّذين عملا تجريد المجالس من المجلة ولم يفتهما منها سوى القليل فخرج الكتاب في 538 صفحة ونشره دار الكتاب الجزائري بالجزائر وطبع بمطبعة الكيلاني بالقاهرة سنة1384هـ-1964م.

3- نشر وزارة الشؤون الدنية بالجزائر وطبع "بدار البعث" بقسنطينة سنة 1403هـ1983م.

---

[1] وهو المسمى "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" وقد صدر عن دار الكتب العلمية بطبعته الأولى سنة 1992م، باثني عشر مجلداً.

[2] لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، واسمه، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، طبعته دار الكتاب العربي – بيروت.

[3] وهو تفسير "البحر المحيط". وقد صدر عن دار الكتب العلمية بطبعته الأولى سنة 1993م، بثمانية مجلدات. بتحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض والدكتور زكريا عبد المجيد النوتي والدكتور أحمد النجولي الجمل.

[4] هو تفسير الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة 606هـ المسمى "مفاتيح الغيب". وقد صدر هذا التفسير عن دار الكتب العلمية في طبعته الأولى سنة 1990م، في ستة عشر مجلدا.

[5] مجالس التذكير، ص 41.

4- نشر دار الكتب العلمية بيروت سنة 1416هـ-1995م مصورة عن النشرة الثانية وعلق عليها وخرج آياتها وأحاديثها: أحمد شمس الدين.

5- نشره أبو عبد الرحمن محمود الجزائري حيث اعتنى بتفسير ابن باديس وخرج أحاديثه وآثاره وتعتبر أشمل وأجمل حلة خَرج فيها الكتاب، طبع بدار الراية السعودية- وطبع بالجزائر بدار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم سنة:1430/ 2009م في جزأين فجزاه الله خيرا عن المؤلف وعن شباب الجزائر والأمة الإسلامية خير الجزاء.

الفرع الخامس: قيمته العلمية.

لتفسير ابن باديس قيمة علمية كبيرة، دلّ على ذلك ثناء العلماء والباحثين عليه، منهم:

1 . رفيق دربه وصديقه الإبراهيمي . رحمه الله .، إذ يقول:"... ولقد كان من حسن حظ الجزائر أن باعث النهضة العلمية فيها الأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس قد وضع أساس هذه النهضة على قواعد صحيحة من أول يوم، فسلك في درس كلام الله أسلوبًا سلفي النزعة والمادة، عصري الأسلوب والمرمى مستمدًا من آيات القرآن وأسرارها أكثر ممّا هو مستمد من التفاسير وأسفارها. وقد قرأنا له في بعض افتتاحيات مجلة "الشهاب" أنه يعتمد في هذه الدروس على تفاسير مخصوصة في مواضيع مخصوصة، كالطبري في المأثور والكشاف للزمخشري في أسرار الإعجاز. وذلك صحيح ومفيد لمن يجعل فهوم الرجال مقاييس لفهمه، ولا يعطيها أكثر من أنها فهوم تصيب وتخطى، أما المعنى الصحيح لكتاب الله فيستجليه من البيان العربي والشرح النبوي ومن مقاصد الدين وأسرار التشريع، ومن عجائب الكون وسنن الله فيه ومن أحكام الاجتماع الإنساني، ومن تصاريف الزمن ونتائج العقول وثمرات العلوم التجريبية" [1].

وقال أيضا: " كان للأخ الصديق عبد الحميد بن باديس رحمه الله ذوق خاص في فهم القرآن كأنه حاسة زائدة خص بها. يرفده- بعد الذكاء المشرق، والقريحة الوقادة، والبصيرة النافذة- بيان ناصع، واطلاع واسع، وذرع فسيح في العلوم النفسية والكونية وباع مديد في علم

[1] آثار الإبراهيمي، ج1، ص343.

الاجتماع ورأي سديد في عوارضه وأمراضه. يمدّ ذلك كله شجاعة في الرأي وشجاعة في القول لم يرزقهما إلّا الأفذاذ المعدودون في البشر" [1].

وقال أيضا: " فانتهت إمامة التفسير بعده في العالم الإسلامي كله إلى أخينا وصديقنا ومنشئ النهضة الإصلاحية العلمية بالجزائر بل بالشمال الافريقي عبد الحميد بن باديس[2].

2 . وقال محمد العيد آل خليفة، مادحا تفسيره:

ودرسك في التفسير أشهى من الجنى ...*... وأبهى من الروض النضير وأبهر

ختمت كتاب الله ختمة دارس ...*... بصير له حل العويص ميسر

فكم لك في القرآن فهم موفق ...*... وكم لك في القرآن قول محرر

قبست من القرآن مشعل حكمة ...*... ينار به السر اللطيف ويبصر

وبينت بالقرآن فضل حضارة ...*... أقر لها كسرى وأذعن قيصر[3].

3 . وقال عنه المحدث الألباني . رحمه الله .: " وكنت قرأت حولها[4] بحثا فيّاضا ممتعا في " تفسير العلامة ابن باديس " فليراجعه من شاء زيادة بيان" [5].

المطلب الثالث: مقاصد القرآن الإيمانية.

قبل التطرق إلى معنى المقاصد الإيمانية، لابد من التطرق إلى مقاصد القرآن، حيث إن المقاصد الإيمانية تندرج تحت مقاصد القرآن.

الفرع الأول: تعريف مقاصد القرآن.

أ . لغة: المقاصد في اللغة جمع مقصد، وتعود كلمة مقصد إلى أصل (قَ صَ دَ) والْقَافُ وَالصَّادُ وَالدَّالُ أُصُولٌ ثَلَاثَةٌ، يَدُلُّ أَحَدُهَا عَلَى إِتْيَانِ شَيْءٍ وَأَمِّهِ، وَالْآخَرُ عَلَى اكْتِنَازٍ فِي الشَّيْءِ[6]. و

---

[1] المرجع السابق، ج2، ص252.

[2] المرجع نفسه، ج2، ص252.

[3] ديوان محمد العيد آل خليفة، من قصيدة: " ختمت كتاب الله "، ص146.

[4] يريد العبارة التي اشتهرت عن رابعة العدوية إن صحت، " رب! ما عبدتك طمعا في جنتك ولا خوفا من نارك "

[5] سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، دار المعارف، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1412 هـ / 1992 م، ج2، ص426.

[6] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م، ج5، ص95.

الْقَصْدُ: اسْتِقَامَةُ الطَّرِيقِ. قَصَد يَقْصِدُ قَصْدًا، فَهُوَ قاصِد. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل: 9]؛ أَي عَلَى اللَّهِ تَبْيِينُ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ والدعاءُ إِليه بِالْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ الْوَاضِحَةِ...

والقَصْدُ: الاعتمادُ والأَمُّ. قَصَدَه يَقْصِدُه قَصْداً وقَصَدَ لَهُ وأَقْصَدَني إِليه الأَمرُ، وَهُوَ قَصْدُكَ وقَصْدَكَ أَي تُجاهَك، والقَصْدُ:إِتيان الشَّيْءِ. تَقُولُ: قصَدْتُه وقصدْتُ لَهُ وقصدْتُ إِليه بِمَعْنًى[1].

ب . **اصطلاحا**: لا تعرّف المقاصد إلا مضافة، وأكثر ما ارتبط لفظ المقاصد بعلم أصول الفقه، ولذلك لا نجد عند المتقدمين، تعريفا لمقاصد القرآن، وإن كانوا قد أشاروا إليه، وممن تكلم عن مقاصد القرآن الكريم: أبو حامد الغزالي (ت 505هـ)، حيث صنف كتابا في هذا الباب، سماه: جواهر القرآن، جعل عنوان فصله الثاني: " في حصر مقاصد القرآن ونفائسه "، وفصله الثالث: " في شرح مقاصد القرآن "[2]، ومن المفسرين البغوي (ت 510هـ)، الذي أشار إلى مقاصد القرآن في مقدمة تفسيره[3]، والعز ابن عبد السلام (660 هـ) الذي جعله مرادفا لمقاصد الشريعة[4]، وغيرهم كثير[5].

وقد حاول المتأخرون تعريف مقاصد القرآن، كعلم مستقل، نذكر منهم:

1 . تعريف عبد الكريم الحامدي: " **الغايات** التي أنزل القرآن لأجلها تحقيقا لمصالح العباد، فالغايات المراد بها المعاني والحكم المقصودة من إنزال القرآن، وهذه **الغايات تهدف** إلى تحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل "[6].

---

(1) ابن منظور ، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط: 3 - 1414 هـ، ج3، ص353.

(2) أبو حامد الغزالي، جواهر القرآن، تح: القباني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط: 2، 1406 هـ - 1986 م، ص25.

(3) أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط : 1 ، 1420 هـ، ج1، ص9.

(4) أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، 1414 هـ - 1991 م، ج1، ص8.

(5) انظر: عبد الرحمن حللي، مقاربات " مقاصد القرآن الكريم "، دراسة تاريخية، مجلة التجديد، المجلد20، العدد39، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا.

(6) مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 1429هـ، 2008م، ص29.

2 . تعريف مسعود بودوخة: " **القضايا الأساسية والمحاور الكبرى** التي دارت عليها سور القرآن الكريم وآياته، تعريفا برسالة الإسلام، وتحقيقا لمنهجه في هداية البشر[1].

3 . تعريف محمد عبد السلام حسن الحضيري: " هي **الغايات والأهداف** التي أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم من أجلها "[2].

والملاحظ من خلال تعريفات الباحثين المعاصرين، أن تصورهم لمقاصد القرآن الكريم محصور في " **الغايات والأهداف** "، وكأنهم لحضوا المعنى اللغوي لمقاصد القرآن.

الفرع الثاني: فوائد معرفة مقاصد القرآن.

لمعرفة المقاصد القرآنية فوائد كثيرة؛ منها:

1 . معرفة مقاصد القرآن الكريم هي المدخل السليم إلى فهم الرسالة القرآنية الإسلامية على وجهها الصحيح، بلا زيادة ولا نقصان. فمقاصد القرآن، إنما هي ما نَصّ عليه القرآن، وما نزل لأجله القرآن، وما استُخلص من جُملةٍ من معانيه وأحكامه.[3]

2 . معرفة هذه المقاصد واستحضارها عند قراءة القرآن وتدبره، تُمَكِّن قارئَه من الفهم السليم للمعاني التفصيلية والمقاصد الخاصة لأمثاله وقصصه ووعده ووعيده، ولكل آية وكل لفظ وكل حكم ورد فيه[4].

3 . بمعرفة مقاصد القرآن يتسدد فهمنا لمقاصد السنة النبوية جملة وتفصيلاً، ومن خلال ذلك يتسدد النظر الفقهي والاجتهاد الفقهي، كما سأبين لاحقاً إن شاء الله تعالى وبعونه[5].

---

(1) جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن الكريم، المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه، في موضوع: جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه، جامعة سطيف الجزائر، ص957

(2) مقاصد القرآن الكلية وأهميتها في التفسير الموضوعي للموضوع القرآني، بحث مقدم لمؤتمر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم (واقع وآفاق)، جامعة الشارقة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 11 . 12 جمادى الأولى 1431هـ الموافق 25 . 26 / 4 / 2010م، ص2.

(3) ينظر: الريسوني، مقاصد المقاصد الغايات العلمية والعملية لمقاصد الشريعة، مركز المقاصد للدراسات والبحوث، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، بيروت 2013م، ص27 .

4 المرجع نفسه ص27 .

5 المرجع نفسه ص27 .

4 . مقاصد القرآن هي الميزان والمعيار الذي يجب أن نزن به أعمالنا الفردية والجماعية، وحياتنا الخاصة والعامة، فكل عمل قلبي أو أخلاقي أو اقتصادي أو سياسي أو عسكري أو حضاري لا يهتدي بمقاصد القرآن، وبمقاصده في القرآن، فهو حائد عن هدي القرآن .خذ مثالاً على ذلك أن من أهم مقاصد القرآن التي سبقت الإشارة إليها مقصد إقامة العدل، فهذا المقصد الكبير معيار نَزِنُ به مواقفنا الشخصية وعقودنا المالية كما نزن به القضاء العادل والسياسة العادلة[1].

5 . مقاصد القرآن هي الميزان والمعيار الذي لا بد منه كذلك للمفسرين في مناهجهم وتفسيراتهم؛ فبمعرفتها ومراعاتها يضمن المفسر لنفسه ولتفسيره أن تكون اهتماماته ومقاصده واستنباطاته فيه. وهذا ضرب من " تفسير القرآن في ضوء مقاصده.

وهذه هي الفائدة العلمية الأهم والأوسع أثراً؛ وهي التي تعصم المفسرين من الانجرار وراء أمور لا مكان لها في مقاصد الكتاب العزيز[(2)].

الفرع الثالث: أنواعها.

إذا كان معنى مقاصد القرآن الكريم يدور على الأهداف والغايات التي أنزل لأجلها القرآن الكريم، إننا نجد كثيرا من المتقدمين قد تطرقوا إلى هذه المعاني، في حصر مواضيع القرآن الرئيسة، فمنهم الغزالي (ت: 505هـ)[(3)] الذي حصرها في ستة أنواع، بعدما قرّر أن المقصد الأعظم هو ((دعوة العباد إلى الله)) وهذه الستة، منها ثلاثة أصول وثلاثة تابعة لها، فأما الأصول فهي:

(1) تعريف المدعو إليه.

(2) وتعريف الصراط المستقيم الذي تجب ملازمته في السلوك إليه.

(3) وتعريف الحال عند الوصول إليه.

وأما الفروع، فهي:

---

[1] الريسوني، مقاصد المقاصد الغايات العلمية والعملية لمقاصد الشريعة (مرجع سابق) ص27 .

[(2)] المرجع نفسه ص 28.

[(3)] محمد بن محمد بن محمد الغَزَالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام: فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف. مولده ووفاته في الطابران، رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته. نسبته إلى صناعة الغزل، أو إلى غَزَالة (من قرى طوس)، من كتبه إحياء علوم الدين، و تهافت الفلاسفة، الاقتصاد في الاعتقاد. الأعلام (22/7).

(1) تعريف أحوال المجيبين للدعوة ولطف الله بهم؛ وأحوال النَّاكبين و قمعِ الله لهم.

(2) ذكر أحوال الجاحدين، وكَشْفُهم بالمجادلة والمحاجَّة على الحق.

(3) تعريف عمارة منازل الطريق، وكيفية أخذ الزاد والأُهبة والاستعداد[1].

والرازي (ت: 606هـ)[2] جعلها أربعة، هي: الْإِلَهِيَّاتُ، وَالْمَعَادُ، وَالنُّبُوَّاتُ، وَإِثْبَاتُ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ[3]. وأما العز بن عبد السلام (ت: 660هـ)[4] فحصر مقاصد القرآن في تحصيل المصالح ودفع المفاسد[5]. ومن المتأخرين محمد رشيد رضا (ت: 1354 هـ)[6]، الذي جعلها عشرة[7]، وأما الزرقاني(ت: 1367 هـ)[8]، فقد جعلها ثلاثة[9]، هي:

1. أن يكون هداية للثقلين.

---

[1] جواهر القرآن، تح: الدكتور محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط: 2، 1406 هـ - 1986 م، ص24.

[2] محمد بن عمر بن الحسن التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازيّ: الإمام المفسر. أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل.أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة. أقبل الناس على كتبه في حياته. من تصانيفه (مفاتيح الغيب، معالم أصول الدين. الأعلام (313/6).

[3] مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: 3 - 1420 هـ، ج1، ص156. وانظر أيضا: ج20، ص352.

[4] عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقيّ، عز الدين الملقب بسلطان العلماء: فقيه شافعيّ بلغ رتبة الاجتهاد. ولد ونشأ في دمشق. تولى الخطابة بالجامع الأموي. وتوفي بالقاهرة. من كتبه:التفسير الكبير و الإلمام في أدلة الاحكام وقواعد الأحكام في إصلاح الأنام. الأعلام (21/4).

[5] فقال: " وَمُعْظَمُ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ الْأَمْرُ بِاكْتِسَابِ الْمَصَالِحِ وَأَسْبَابِهَا، وَالزَّجْرُ عَنْ اكْتِسَابِ الْمَفَاسِدِ وَأَسْبَابِهَا" قواعد الأحكام، ص8.

[6] محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بَهاء الدين، البغدادي الأصل، الحسيني النسب: صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. من الكتّاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير. ولد ونشأ في القلمون وتعلم فيها. ثم رحل إلى مصر سنة 1315 هـ فلازم محمد عبده. ثم رحل إلى الهند والحجاز وأوربا. وعاد، فاستقر بمصر إلى أن توفي فجأة، ودفن بالقاهرة. أشهر آثاره مجلة (المنار)، وتفسير القرآن الكريم ولم يكمله. الأعلام (126/6).

[7] الوحي المحمدي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 1، 1426 هـ - 2005 م، من ص 121 إلى ص240.

[8] محمد عبد العظيم الزرقاني: من علماء الأزهر بمصر. تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث. وتوفي بالقاهرة. من كتبه مناهل العرفان في علوم القرآن. الأعلام (6/ 110).

[9] ذكرها في سياق حديثه عن حكم ترجمة القرآن، وأنه لابد من المحافظة على مقاصد القرآن عند الترجمة.

2 . وأن يقوم آية لتأييد النبي صلى الله عليه وسلم.

3 . وأن يتعبد الله خلقه بتلاوة هذا الطراز الأعلى من كلامه المقدس "[1].

وأما الطاهر بن عاشور (ت: 1393 هـ) فقد جعل مقاصد القرآن ثمانية، هي:

1 . إِصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصَّحِيحِ.

2 . تهذيب الأخلاق.

3 . التَّشرِيع وهو الأحكام خَاصَّةً وَعَامَّةً.

4 . سياسة الأمة.

5 . القصص وأخبار الأمم السالفة.

6 . التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين، ومايؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها.

7 . المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير.

8 . الْإِعْجَازُ بِالْقُرْآنِ.[2].

من خلال عرض مقاصد القرآن الكريم عند بعض المتقدمين وبعض المتأخرين، نلاحظ تباينا كبيرا في تقسيمها، فمنهم من جعلها ثلاثة أنواع إلى من جعلها عشرة، ولعل هذ التباين سببه إنما هو زيادة في التفريع، ويمكن للباحث تقسيم مقاصد القرآن الكريم إلى سبعة، هي:

أولا: المقاصد الإيمانية.

ثانيا: المقاصد الخلقية والسلوكية.

ثالثا: المقاصد التشريعية (التعبدية).

رابعا: المقاصد الاجتماعية.

خامسا: المقاصد العلمية الفكرية.

سادسا: المقاصد السياسية.

سابعا: المقاصد الإعجازية[1].

---

[1] مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط: 3، ط2، ص123.

[2] التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 هـ، ج1، ص40.

الفرع الرابع: علاقتها بمقاصد الشريعة.

لمعرفة علاقة مقاصد القرآن بمقاصد الشريعة، لابد من تعريف مقاصد الشريعة:

عرّفها ابن عاشور بقوله: " مقاصد الشريعة العامة هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة. فيدخل في هذا: أوصاف الشريعة، وغايتها العامة، والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها. ويدخل في هذا أيضًا معان من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام، ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها"[2].

وعرفها علاّل الفاسي بقوله: " المراد بمقاصد الشريعة: الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها"[3].

وعرفها الريسوني بقوله: " إن مقاصد الشريعة هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها، لمصلحة العباد" [4].

من خلال هذه التعاريف نلحظ أن معنى مقاصد الشريعة هي الغايات والأهداف من التشريع، وقد سبق أن معنى مقاصد القرآن يدور عن الأهداف والغايات التي نزل القرآن لأجلها، فكلا من مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة هي غايات وأهداف، غير أن التشريع جزء من مقاصد القرآن، فتكون مقاصد الشريعة جزءا من مقاصد القرآن، فمقاصد القرآن أعم.

الفرع الخامس: مقاصد القرآن عند ابن باديس.

لم يبيّن ابن باديس مقاصد القرآن الكريم تصريحا، غير أنه أشار إليها في موضعين من تفسيره – وهو يبين اختلاف العلماء في الحروف المقطعة – أثناء تفسير آيات من سورة يس :

---

[1] عبد الله عثمان علي المنصوري، المقاصد الإيمانية في جزء قد سمع من خلال: (أيسر التفاسير لكلام العلي القدير) لأبي بكر جابر الجزائري، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، العدد العشر، ص144.

[2] مقاصد الشريعة الإسلامية، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1425 هـ – 2004 م، ج2، ص 21.

[3] مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، دار الغرب الإسلامي، ط: 5، 1993، ص07.

[4] نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط: 2 – 1412 هـ – 1992م، ص7.

الأول: "...سؤال وجوابه: القرآن أنزل للبيان، ولا بيان إلاّ بالإفهام، فكيف يكون في القرآن لفظ لا يُفهم له معنى؛ والجواب: أن عدم فهم معنى من بضع عشرة كلمة افتتحت بها بعض السور، لا يخل ببيان القرآن، لما أنزل لبيانه من عقائد وآداب وأحكام وغيرها من **مقاصد القرآن**..."[1].

الثاني: "... إنها حروف تنبيه تقرع الأسماع، فتلفت السامعين إلى الاستماع والتدبر؛ لما اشتملت عليه السورة من الأحكام والعقائد والآداب وغيرها، من **مقاصد القرآن**..."[2].

ومن خلال الموضعين بيّن . رحمه الله . أن بعض مقاصد القرآن هي العقائد، والآداب، والأحكام، وأبهم بعضها[3].

الفرع السادس: المقاصد الإيمانية.

قد سبق تعريف المقاصد لغة، وأما اصطلاحا، فلا تعرف إلا مضافة.

أولا: تعريف الإيمان:

أ . لغة: الإيمان لغة له معنيان:

أولاً – (**الأمن**) : طمأنينة النفس وزوال الخوف[4].

ثانياً – (**التصديق**)، وهو الذي عليه عامة أهل اللغة[5].

---

[1] مجالس التذكير، ج1، ص283.

[2] المصدر نفسه: ج1، ص 287.

[3] وقد حصر المعلق على الكتاب مقاصد القرآن عند ابن باديس في هذه الثلاثة، فقال . رحمه الله .: " ... فركز على مقاصد القرآن الكريم التي يمكن تلخيصها بما يلي:

أولا: الناحية العقيدية التي تتناول الجانب الإيماني بالله والرسل والملائكة واليوم الآخر.

ثانيا: الناحية الأخلاقية التي يدعو القرآن إلى التلبس بها لتهذيب النفوس وتزكيتها.

ثالثا: الناحية الحياتية العملية، وهي التي تتناول الأحكام التي تنظم علاقة الفرد بربه وبنفسه وبغيره من الأفراد وبمجتمعه ككل " مجالس التذكير، ج1، ص3.

[4] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط: 1 – 1412 هـ، ص 90.

[5] الأزهري، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: 1، 2001م، ج15، ص368. واختاره ابن باديس، فقال: " الْإِيمَانُ فِي اللُّغَةِ: التَّصْدِيقُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [

ب . شرعا: الإيمان عند أهل السنة والجماعة هو: التصديق الجازم، والإقرار الكامل، والاعتراف التام؛ بوجود الله تعالى وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، واستحقاقه وحده العبادة، واطمئنان القلب بذلك اطمئناناً تُرى آثاره في سلوك الإنسان، والتزامه بأوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه. وأن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم رسول الله، وخاتم النبيين، وقبول جميع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم عن ربه – جل وعلا – وعن دين الإسلام؛ من الأمور الغيبية، والأحكام الشرعية، وبجميع مفردات الدين، والانقياد له صلى الله عليه وسلم بالطاعة المطلقة فيما أمر به، والكف عما نهى عنه صلى الله عليه وسلم وزجر؛ ظاهراً وباطناً، وإظهار الخضوع والطمأنينة لكل ذلك. وملخصه: (هو جميع الطاعات الباطنة والظاهرة) [1].

ثانيا: تعريف المقاصد الإيمانية كمركب إضافي:

هي الغايات التي أنزلت لأجلها الآيات التي تنظم علاقة الإنسان بخالقه سبحانه وتعالى، وتحدد صلته به، وتجعل لحياته هدفا وغاية، وهذه المقاصد تتمثل في تحقيق الإيمان بالله تعالى وبأسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره[2].

ومن المقاصد الإيمانية تستمد بقية المقاصد القرآنية، " فإن من آمن بها كما ينبغي، واطمأن إليها كما يجب، فقد فاز بخيري الدارين، وأخذ بالحظ الوافر من السعادة الآجلة والعاجلة، ودخل إلى الإيمان الخالص من الباب الذي أرشده إلينا نبينا –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– في جواب من سأله عن الإسلام والإيمان والإحسان، فقال في الإيمان: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والقدر خيره وشره" [3].

يوسف: 17]. ابن باديس، الْعَقَائِدُ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ، رواية: محمد الصالح رمضان، مكتبة الشركة الجزائرية مرازقه بو داود وشركاؤهما، الجزائر، ط: 2، ص49.

[1] عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، مراجعة وتقديم: عبد الرحمن بن صالح، مدار الوطن للنشر، الرياض، ط: 1، 1424 هـ - 2003 م، ج1، ص 25.

[2] المقاصد الإيمانية، ص153.

[3] من حديث جبريل الطويل الذي رواه مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ. (8).

المبحث الأول: مقصد الإيمان بالله، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى الإيمان بالله

المطلب الثاني: المقاصد الخاصة بالإيمان بالله تعالى

المطلب الثالث: ثمرات مقصد الإيمان بالله

المبحث الأول: مقصد الإيمان بالله تعالى.

الإيمان بالله عز وجل هو أهم أصول الإيمان، وأعظمها شأنا، وأعلاها قدرا، بل هو أصل أصول الإيمان، وأساس بنائه، وقوام أمره، وبقية الأصول متفرعة منه، راجعة إليه، مبنية عليه.

المطلب الأول: معنى الإيمان بالله.

الإيمان بالله سبحانه وتعالى: هو التصديق الجازم بوجود الله وربوبيته – جل وعلا – واتصافه بكل صفات الكمال، ونعوت الجلال، واستحقاقه وحده العبادة، واطمئنان القلب بذلك اطمئناناً تُرى آثاره في سلوك الإنسان، والتزامه بأوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه، وهو أساس العقيدة الإسلامية ولبها؛ فهو الأصل، وكل أركان العقيدة مضافة إليه، وتابعة له[1].

ومن الإيمان بالله تعالى الإيمان بوجوده وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

1 . الوجود: هُوَ الْمَوْجُودُ الْحَقُّ لِذَاتِهِ، الَّذِي لاَ يَقْبَلُ وُجُودُهُ الْعَدَمَ، فَهُوَ الْقَدِيمُ الَّذِي لاَ بِدَايَةَ لِوُجُودِهِ، وَهُوَ الْبَاقِي الَّذِي لاَ نِهَايَةَ لِوُجُودِهِ، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [إبراهيم: 13]، وَ**قَالَ تَعَالَى:** ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗى يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ٢ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٣ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾[الرعد: 4 إلى 6][2].

---

[1] عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، مراجعة وتقديم: عبد الرحمن بن صالح، مدار الوطن للنشر، الرياض، ط: 1، 1424 هـ – 2003 م، ص 114. وانظر أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي ، حازم القاضي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط: 2، 1422هـ، ص19،

[2] ابن باديس، الْعَقَائِدُ الْإِسْلاَمِيَّةِ مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ، محمد الصالح رمضان، مكتبة الشركة الجزائرية مرازقه بو داود وشركاؤهما، الجزائر، ط: 2، ص 69.

وَهُوَ الْمَوْجُودُ الَّذِي سَبَقَ وُجُودُهُ كُلَّ وُجُودٍ، فَكَانَ تَعَالَى وَحْدَهُ وَلاَ شَيْءَ مَعَهُ، ثُمَّ خَلَقَ مَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: **قَالَ تَعَالَى:﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ ﴾**[الحديد: 3][1].

فَهُوَ الْغَنِيُّ بِذَاتِهِ عَنِ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ، وَهِيَ الْمُفْتَقِرَةُ كُلُّهَا –ابْتِدَاءً وَدَوْمًا– إِلَيْهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: **قَالَ تَعَالَى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝١٥ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ۝١٦ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ﴾[فاطر: 15 إلى 17][2].

2 . الوحدانية: وَهُوَ الْوَاحِدُ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ فَلاَ ثَانِيَ لَهُ، وَلاَ نَظِيرَ لَهُ، وَلاَ شَرِيكَ لَهُ فِي ذَاتِهِ، وَلاَ ثَانِيَ لَهُ، وَلاَ نَظِيرَ لَهُ، وَلاَ شَرِيكَ لَهُ فِي أَسْمَائِهِ، وَلاَ ثَانِيَ لَهُ، وَلاَ نَظِيرَ لَهُ، وَلاَ شَرِيكَ لَهُ فِي صِفَاتِهِ، وَلاَ ثَانِيَ لَهُ، وَلاَ نَظِيرَ لَهُ، وَلاَ شَرِيكَ لَهُ فِي أَفْعَالِهِ، **قَالَ تَعَالَى:﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾** [الأنبياء: 22]، **وقَالَ تَعَالَى:﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾**[المومنون: 91] ، **قَالَ تَعَالَى:﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ ﴾**[فاطر: 3]، **قَالَ تَعَالَى:﴿ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾** [مريم: 65]، **قَالَ تَعَالَى:﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾** [الشورى: 11]، **قَالَ تَعَالَى:﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤ ﴾**[3] [سورة الإخلاص].

3 . الربوبية: ومن الإيمان به تَوْحِيدُهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَهُوَ الْعِلْمُ بِأَنْ لاَ خَالِقَ غَيْرُهُ وَلاَ مُدَبِّرَ لِلْكَوْنِ وَلاَ مُتَصَرِّفَ فِيهِ سِوَاهُ، – لِقَوْلِهِ تَعَالَى: **قَالَ تَعَالَى:﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ ﴾** [فاطر: 3]، **قَالَ تَعَالَى:﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ ﴾**[الأعراف: 54] ، **قَالَ تَعَالَى:﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾**[السجدة: 5][4].

---

[1] المرجع السابق، ص70.

[2] المرجع نفسه، ص72.

[3] المرجع نفسه، ص80.

[4] المرجع نفسه، ص 82.

4 . الألوهية . و تَوْحِيدُهُ فِي أُلُوهِيَّتِهِ وَهُوَ الْعِلْمُ بِأَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ دُونَ سِوَاهُ وَالْقَصْدُ وَالتَّوْجِيهُ وَالْقِيَامُ بِالْعِبَادَاتِ كُلِّهَا إِلَيْهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: **قَالَ تَعَالَى:** ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25]، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[الأنعام: 79] ، **قَالَ تَعَالَى:**﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنعام: 162][1].

5 . الإثبات والتنزيه: نُثْبِتُ لَهُ تَعَالَى مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ، عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، مِنْ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، وَأَسْمَائِهِ، وَأَفْعَالِهِ، وَنَنْتَهِي عِنْدَ ذَلِكَ وَلاَ نَزِيدُ عَلَيْهِ، وَنُنَزِّهُهُ فِي ذَلِكَ عَنْ مُمَاثَلَةِ أَوْ مُشَابَهَةِ شَيْءٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ. وَنُثْبِتُ الاِسْتِوَاءَ وَالنُّزُولَ وَنَحْوَهُمَا، وَنُؤْمِنُ بِحَقِيقَتِهِمَا عَلَى مَا يَلِيقُ بِهِ تَعَالَى بِلاَ كَيْفٍ، وَبِأَنَّ ظَاهِرَهَا الْمُتَعَارَفِ فِي حَقِّنَا غَيْرُ مُرَادٍ[2].[3] لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: 110]، **قَالَ تَعَالَى:**﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف: 180][4].

المطلب الثاني: المقاصد الخاصة بالإيمان بالله.

---

[1] المرجع نفسه، ص 82.

[2] المرجع نفسه، ص 74.

[3]قال ابن تيمية: " وَمَنْ قَالَ: إنَّ ظَاهِرَ شَيْءٍ مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ غَيْرُ مُرَادٍ فَقَدْ أَخْطَأَ؛ لِأَنَّهُ مَا مِنْ اسْمٍ يُسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى بِهِ إلَّا وَالظَّاهِرُ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ الْمَخْلُوقُ غَيْرُ مُرَادٍ بِهِ فَكَانَ قَوْلُ هَذَا الْقَائِلِ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ جَمِيعُ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ قَدْ أُرِيدَ بِهَا مَا يُخَالِفُ ظَاهِرَهَا وَلَا يَخْفَى مَا فِي هَذَا الْكَلَامِ مِنْ الْفَسَادِ"، ثم بين رحمه الله السبب، فقال: " مَنْ قَالَ: إنَّ الظَّاهِرَ غَيْرُ مُرَادٍ بِمَعْنَى أَنَّ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ غَيْرُ مُرَادَةٍ قُلْنَا لَهُ: أَصَبْت فِي " الْمَعْنَى " لَكِنْ أَخْطَأْت فِي " اللَّفْظِ " وَأَوْهَمْت الْبِدْعَةَ وَجَعَلْت للجهمية طَرِيقًا إلَى غَرَضِهِمْ وَكَانَ يُمْكِنُك أَنْ تَقُولَ: تُمَرُّ كَمَا جَاءَتْ عَلَى ظَاهِرِهَا مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى لَيْسَتْ كَصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ وَأَنَّهُ مُنَزَّهٌ مُقَدَّسٌ عَنْ كُلِّ مَا يَلْزَمُ مِنْهُ حُدُوثُهُ أَوْ نَقْصُهُ.". مجموع الفتاوى (6/ 357 . 358). والصواب أن يقال كما قال ابن كثير . رحمه الله . في تفسيره : " وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} فَلِلنَّاسِ فِي هَذَا الْمَقَامِ مَقَالَاتٌ كَثِيرَةٌ جِدًّا، لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ بَسْطِهَا، وَإِنَّمَا يُسلك فِي هَذَا الْمَقَامِ مَذْهَبُ السَّلَفِ الصَّالِحِ: مَالِكٌ، وَالْأَوْزَاعِيُّ، والثوري، وَاللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، وَالشَّافِعِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ وَغَيْرُهُمْ، مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَهُوَ إمْرَارُهَا كَمَا جَاءَتْ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَشْبِيهٍ وَلَا تَعْطِيلٍ. وَالظَّاهِرُ الْمُتَبَادَرُ إلَى أَذْهَانِ الْمُشَبِّهِينَ مَنْفِيٌّ عَنِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ". تفسير ابن كثير، ج3، ص383.

[4] العقائد الإسلامية، ص 75.

للإيمان بالله مقاصد متعلقة بتنزيهه سبحانه عن النقائص وتوحيده عزّ وجلّ في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

الفرع الأول: تنزيه الله تعالى.

. أقوال ابن باديس:

قال ابن باديس: " الاعتراف بوجود خالق للكون يكاد يكون غريزة مركوزة في الفطرة، ويكاد لا تكون لمنكريه- عناداً- نسبة عددية بين البشر[1].

ولكن أكثر المعترفين بوجوده قد نسبوا إليه ما لا يجوز عليه، ولا يليق بجلاله: من الصاحبة والولد، والمادة والصورة، والحلول، والشريك في التصرف في الكون، والشريك في التوجه والضراعة إليه، والسؤال منه والاتكال عليه[2].

وقال . رحمه الله . : " وكان من سبيل محمد- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- أنه يدعو الخلق إلى الله، وينزهه عن كل ما نسبه إليه المبطلون وتخيله المتخيلون، وهو معنى قوله: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾[يوسف: 108]. فهو يدعوهم إلى الله الذي قد عرفوا وجوده بفطرتهم، وعرفوا أنه هو خالق الكون وخالقهم، لا يسميه إلاّ بما سمى به نفسه، ولا يصفه إلاّ بما وصف به نفسه، ويعرفهم بآثار قدرته، ومواقع رحمته، ومظاهر حكمته، وآيات ربوبيته وألوهيته، ووحدانيته في جلاله وسلطانه، وينزهه عن المشابهة والمماثلة لشيء من مخلوقاته لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله. " [3].

. دراستها:

---

[1] قال رحمه الله: " دلالة الصنعة على الصانع نظرية عقلية قطعية. فكل ذي صنعة، في مكنته أن يستدل بصنعته عن وجود خالق هذا العالم وكماله؛ يشاهد أن صنعته ما كانت إلاّ به، وبما له من قدرة فيها، وعلم بها؛ فهداه ذلك إلى أن هذا العالم ما كان إلاّ من خالق قادر عالم. فالهدهد ذكر ما هو من عمله في الاستدلال على وجود الخالق تعالى ووحدانيته، ومثله كل ذي صنعة. وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ. مجالس التذكير، ج2، ص 249.

[2] مجالس التذكير، ج2، ص128.

[3] مجالس التذكير، ج1 ، ص128.

قرّر ابن باديس ـ رحمه الله ـ أن الاعتراف بوجود خالق للكون أمر فطري للإنسان، لذلك لا تجد في القرآن الكريم، مناقشة صريحة لمنكري الخالق سبحانه[1]، فكل شيء في الكون يدلّ على وجود خالق للكون.

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

والمشركون قد كانوا لا ينكرون وجود الله بل يثبتون له الخلق، وقد قال سبحانه في كتابه: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[العنكبوت: 61]

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ –الَّذِينَ يَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ –مُعْتَرِفُونَ أَنَّهُ الْمُسْتَقِلُّ بِخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَتَسْخِيرِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَّهُ الْخَالِقُ الرَّازِقُ لِعِبَادِهِ، وَمُقَدِّرُ آجَالِهُمْ، وَاخْتِلَافَهَا وَاخْتِلَافَ أَرْزَاقِهِمْ فَفَاوَتَ بَيْنَهُمْ، فَمِنْهُمُ الْغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِمَا يُصْلِحُ كُلا مِنْهُمْ، ومَنْ يَسْتَحِقُّ الْغِنَى مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ الْفَقْرَ، فَذَكَرَ أَنَّهُ المستبدُّ بِخَلْقِ الْأَشْيَاءِ الْمُتَفَرِّدِ بِتَدْبِيرِهَا، فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَلِمَ يُعبد غَيْرُهُ؟ وَلِمَ يُتَوَكَّلُ عَلَى غَيْرِهِ؟ فَكَمَا أَنَّهُ الْوَاحِدُ فِي مُلْكِهِ فَلْيَكُنِ الْوَاحِدَ فِي عِبَادَتِهِ، وَكَثِيرًا مَا يُقَرِّرُ تَعَالَى مَقَامَ الْإِلَهِيَّةِ بِالِاعْتِرَافِ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ. وَقَدْ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَعْتَرِفُونَ بِذَلِكَ، كَمَا كَانُوا يَقُولُونَ فِي تَلْبِيَتِهِمْ: "لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ". [(2)].

فلذلك كانت وظيفة الرسل تنزيه الخالق عما لا يليق به... فليس يشبهه تعالى ولا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، لأن أسماءه كلها حسنى، وصفاته صفة كمال وعظمة، وأفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، فليس كمثله شيء، لانفراده وتوحده بالكمال من كل وجه[(3)].

---

[1] انظر: الإيمان بالله جل جلاله، لعَلي محمد الصَّلاَّبي، دار ابن كثير – سوريا، ط: 1، ص36.

[(2)] تفسير ابن كثير، ج6، ص 294.

[(3)] انظر: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1420هـ –2000 م، ص754.

. النّتيجة: وجود خالق للكون أمر محسوم، عند أكثر البشر، وأكثر ضلالهم إنما هو في نسبة ما لا يليق به سبحانه من الولد والصاحبة والشريك، ولهذا كانت أعظم وظائف الرسل، دعوة الناس إلى تنزيه المولى سبحانه وتعالى.

الفرع الثاني: التوحيد الذي لأجله بعثت الرسل.

. أقوال ابن باديس:

قال . رحمه الله . : " التوحيد: هذا هو أساس الدين كله، وهو الأصل الذي لا تكون النجاة ولا تقبل الأعمال إلاّ به. وما أرسل الله رسولا إلاّ داعياً إليه، ومذكراً بحججه. وقد كانت أفضل كلمة قالها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هي كلمة "لا إله إلاّ الله"[1]. وهي كلمته الصريحة فيه. ولا تكاد سورة من سور القرآن تخلو من ذكره والأمر به والنهي عن ضده. وأنت ترى أن هذه الآيات الجامعة قد جعلت بين آيتين[2] صريحتين فيه[3].

وقال: " وأن التوحيد هو ملاك الأعمال وقوامها، ومنه بدايتها وإليه نهايتها. وكذلك المسلم الموفق يبتدي حياته بكلمة التوحيد حتى يموت عليها."[4].

. دراستها:

التوحيد هو زبدة رسالة الرسل قال سبحانه:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾. [الأنبياء: 25].

قال السعدي: " فكل الرسل الذين من قبلك مع كتبهم، زبدة رسالتهم وأصلها، الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وبيان أنه الإله الحق المعبود، وأن عبادة ما سواه باطلة"[1].

---

[1] يشير إلى الحديث الذي رواه الإمام مالك في "الموطأ "(726) ، والبيهقي في "السنن" (8391) عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ كَرِيزٍ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ :أَفْضَلُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ. وَأَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ . قال ابن عبد البر رحمه الله : جَاءَ مُسْنَدًا مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ." انتهى من "التمهيد" (6/ 39). وحسنه الألباني في "صحيح الجامع" (1102).

[2] بين قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ﴿22﴾ ﴾ [الإسراء: 22]، و قوله تعالى:﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ﴿39﴾ ﴾ [الإسراء: 39].

[3] مجالس التذكير، ج1، ص 183.

[4] المرجع نفسه، ج1، ص285.

و التوحيد الذي دعى إليه الرسل هو توحيد الإلهية، توحيد القصد والطلب.

وأما توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الأفعال، فهو توحيد العلم والاعتقاد، وأكثر الأمم قد أقروا به لله. وأما توحيد الإلهية فأكثرهم قد جحدوه، كما قال تعالى عن مشركي قريش: ﴿ اَجَعَلَ اَلَاٰلِهَةَ اِلَٰهًا وَاحِدًا اِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٌ ﴾[ص: 5][2].

وقرّر ابن باديس ـ رحمه الله ـ هذه الحقيقة في أكثر من موضع، فقال: " فنهى الله الخلق كلهم عن أن يعتقدوا معه شريكاً في ألوهيّة، فيعبدوه معه ليعتقدوا أنه الإله وحده فيعبدوه وحده. وبين لهم أنهم إن اعتقدوا معه شريكاً وعبدوه معه فإن عبادتهم تكون باطلة، وعملهم يكون مردوداً عليهم، وأنهم يكونون مذمومين من خالقهم، ومن كل عقل سليم من الخلق، يكونون مخذولين لا ناصر لهم: فأما الله فإنه يتركهم وما عبدوا معه، وأما معبوداتهم فإنها لا تنفعهم لأنها عاجزة مملوكة مثلهم فما لهم– قطعاً– من نصير[3].

وقال ـ رحمه الله ـ : " فالعبادة بجميع أنواعها لا تكون إلاّ له فذل القلب وخضوعه، والشعور بالضعف والافتقار والطاعة والانقياد والتضرع والسؤال، هذه كلها لا تكون إلاّ لله. فمن خضع قلبه لمخلوق على أنه يملك ضره أو نفعه فقد عبده. ومن ألقى قياده بيد مخلوق يتبعه فيما يأمره وينهاه غير ملتفت إلى أنه من عنده أو من عند الله فقد عبده. ومن توجه لمخلوق فدعاه ليكشف عنه السوء أو يدفع عنه الضر فقد عبده. ومن شعر بضعفه وافتقاره أمام مخلوق على أنه يملك إعطاءه أو منعه فقد عبده. "[4].

. النّتيجة: توحيد الله في عبادته هو أساس الدّين، لأجله أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وأقام سوق الجنّة والنار، ولا يقبل الله الأعمال من النّاس إلا بتحقيقه.

---

[1] تيسير الكريم الرحمن، ص521.

[2] انظر: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، تح: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، الطائف، المملكة العربية السعودية/ مكتبة دار البيان، دمشق، الجمهورية العربية السورية، ط: 1، 1411هـ/1990م، ص4.

[3] مجالس التذكير، ج1، ص 185.

[4] المرجع نفسه، ج1، ج186.

الفرع الثالث: البراءة من المشركين.

. أقوال ابن باديس:

قال . رحمه الله .: " ... فالنبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- كما يدعو إلى الله وينزهه، يعلن براءته من المشركين، وأنه ليس منهم: براءة من عقيدتهم، وأقوال وأعمال شركهم. فهو مباين لهم في العقد، والقول، والعمل مباينة الضد للضد. فكما باين التوحيد الشرك، باين هو المشركين، وذلك معنى قوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[يوسف : 108][1].

وقال أيضا: " فالمسلمون المتبعون لنبيهم- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- كما يدعون إلى الله على بصيرة، وينزهونه؛ يباينون المشركين في عقائدهم وأعمالهم وأقوالهم، ويطرحون الشرك بجميع وجوهه، ويعلنون براءتهم وانتفاءهم من المشركين "[2].

. دراستها:

لا يكتمل توحيد الله إلا بالبراءة من الشرك وأهله، ويدل على هذا قوله تعالى:﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓۖ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: 4].

فالله سبحانه يأمرنا بالاتّساء بإبراهيم- عليه السلام- ومن آمن معه، إذ أعلنوا بكل شجاعة وشدة، إيمانهم الكامل بالحق، وبراءتهم وكراهيتهم واحتقارهم، لكل من أشرك مع الله- تعالى- في العبادة آلهة أخرى، والتَّأَسِّي هُنَا فِي ثَلَاثَةِ أُمُورٍ:

أَوَّلًا: التَّبَرُّؤُ مِنْهُمْ وَمِمَّا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

ثَانِيًا: الْكُفْرُ بِهِمْ.

ثَالِثًا: إِبْدَاءُ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ وَإِعْلَانُهَا وَإِظْهَارُهَا أَبَدًا إِلَى الْغَايَةِ الْمَذْكُورَةِ حَتَّى يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ، وَهَذَا غَايَةٌ فِي الْقَطِيعَةِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قَوْمِهِمْ، وَزِيَادَةٌ عَلَيْهَا إِبْدَاءُ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ أَبَدًا، وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ هُوَ الْكُفْرُ، فَإِذَا آمَنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ انْتَفَى كُلُّ ذَلِكَ بَيْنَهُمْ[1].

---

[1] المرجع السابق، ج1، ص129.

[2] المرجع نفسه، ج1، ص131.

و لم يكتفوا بالتغيير القلبي للمنكر، بل جاهروا بعداوتهم له، وبالتنزه عن اقترابهم منه. وبتجافيهم عنه ... ولعل هذا هو أقصى ما كانوا يملكونه بالنسبة لتغيير هذا المنكر في ذلك الوقت.

وقد أخبرنا القرآن الكريم أن إبراهيم- عليه السلام- لم يكتف بذلك، بل حطّم الأصنام التي كان يعبدها قومه وقال لهم: أُفٍّ لَكُمْ وَلِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ.

قال صاحب الكشاف: " أي: كان فيهم- أي: في إبراهيم ومن آمن معه- مذهب حسن مرضيّ بأن يؤتسى به ويتبع أثره، وهو قولهم لكفار قومهم ما قالوا، حيث كاشفوهم بالعداوة وقشروا لهم العصا، وأظهروا البغضاء والمقت، وصرحوا بأن سبب عداوتهم وبغضائهم ليس إلا كفرهم بالله، وما دام هذا السبب قائما كانت العداوة قائمة، حتى إن أزالوه وآمنوا بالله وحده انقلبت العداوة موالاة، والبغضاء محبة، والمقت مقة ، فأفصحوا عن محض الإخلاص"[2].

. النّتيجة: لا يكفي الإيمان بالله وحده بل لا بدّ من البراءة من جميع أنواع الشرك صغيره وكبيره، والبراءة من أهله المتلبسين به، ولو كانوا من أقرب الأقربين، فبذلك يتمّ للعبد توحيده.

الفرع الرابع: الدعاء والعبادة.

والعبادة: اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ: مِنْ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ.[3]

. أقوال ابن باديس:

قال: " ما يزال الذكر الحكيم يسمّي العبادة دعاء ويعبر به عنها[4]؛ ذلك لأنه عبادة، فعبر عن النوع ببعض أفراده، وإنما اختير هذا الفرد ليعبر به عن النوع؛ لأن الدعاء مخ العبادة وخلاصتها؛ فإن العابد يظهر ذله أمام عز المعبود، وفقره أمام غناه، وعجزه أمام قدرته، وتمام

---

(1) محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، 1415 هـ - 1995 م، ج8، ص 85.

2 الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: 3 - 1407 هـ، ج4، ص514.

(3) مجموع الفتاوى لابن تيمية (149/10).

4 إذ كثيرا ما يسمي القرآن الكريم العبادة دعاء، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَالذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءاخَرَ ﴾ [الفرقان: 68].

تعظيمه له وخضوعه بين يديه. ويعرب عن ذلك بلسانه بدعائه وندائه وطلبه منه حوائجه. فالدعاء هو المظهر الدال على ذلك كله. ولهذا كان مخ عبادته "[1].

وقال أيضا: " وتسمية الدعاء عبادة ثابتة لغة وشرعاً بغير دليل: منها حديث النعمان بن بشير عند أحمد وأصحاب السنن مرفوعاً: «الدعاء هو العبادة»[2]، وحديث أنس عند الترمذي مرفوعاً: «الدعاء مخ العبادة»[3].

وهذا لأن العبادة هي الخضوع والتذلل، لمن بيده الخلق والتصرف والعطاء والمنع. ومظهر هذا الخضوع والتذلل هو الدعاء لدفع الضر، أو جلب النفع؛ فلذلك عبر عنه في الحديث الأول بأنه هو العبادة، أي معظمها وفي الثاني بأنه مخ العبادة أي خالصها[4].

. دراستها:

لم يفرق . رحمه الله . بين نوعي الدعاء، دعاء المسألة ودعاء العبادة، إذ كلّ ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء، والنهي عن دعاء غير الله، والثناء على الداعين: يتناول دعاء المسألة، ودعاء العبادة، وهذه قاعدة نافعة، فإن أكثر الناس إنما يتبادر لهم من لفظ الدعاء والدعوة: دعاء المسألة فقط، ولا يظنون دخول جميع العبادات في الدعاء.[5].

ودعاء العبادة، مثاله: الصوم، والصلاة، وغير ذلك من العبادات، فإذا صلى الإنسان أو صام؛ فقد دعا ربه بلسان الحال أن يغفر له، وأن يجيره من عذابه، وأن يعطيه من نواله، وهذا

---

[1] مجالس التذكير، ج2، ص134.

[2] صحيح: أخرجه أحمد (4/ 267 و271 و276 - مصورة المكتب الإسلامي)، والبخاري في " الأدب المفرد " (715)، وأبو داود (1/ 232)، والترمذي (9/ 311 - 312/ 3432)، وابن ماجه (3828)، وابن حبان (3/ 172/ 890)، والحاكم (1/ 490 - 491) وغيرهم عن النعمان بن بشير مرفوعاً. وقال الترمذي: " حديث حسن صحيح "، وقال الحاكم: " صحيح الإسناد "، ووافقه الذهبي، وصححه أيضاً النووي في " الأذكار " [ص:333]، = = وقال الحافظ في " الفتح " (1/ 49): " أخرجه أصحاب السنن بِسَنَد جيّدٍ "، وانظر: " صحيح [أبي داود " (1312)، و " الترمذي " (2685)، و " ابن ماجه " (3086)، و " الجامع الصغير " (3401)] للألباني.

[3] ضعيف بهذا اللفظ: أخرجه الترمذي (9/ 310 - 311/ 3431) وقال: " هذا حديث غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلّا من حديث ابن لهيعة ".

[4] مجالس التذكير، ج2، ص297.

[5] انظر: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، القواعد الحسان لتفسير القرآن، مكتبة الرشد، الرياض، ط: 1، 1420 هـ - 1999 مص 127.

في أصل الصلاة، كما أنها تتضمن الدعاء بلسان المقال. ويدل لهذا القسم قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[غافر :60]؛ فجعل الدعاء عبادة، وهذا القسم كله شرك، فمن صرف شيئا من أنواع العبادة لغير الله؛ فقد كفر كفرا مخرجا له عن الملة، فلو ركع لإنسان، أو سجد لشيء يعظمه كتعظيم الله في هذا الركوع أو السجود؛ لكان مشركا.

الثاني: دعاء المسألة؛ فهذا ليس كله شركا، بل فيه تفصيل، فإن كان المخلوق قادرا على ذلك؛ فليس بشرك؛ كقولك: اسقني ماء لمن يستطيع ذلك، قال صلى الله عليه وسلم: " من دعاكم فأجيبوه "[1] وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ ﴾ [النساء :8]. فإذا مد الفقير يده، وقال: ارزقني؛ أي: أعطني؛ فليس بشرك، كما قال تعالى: {فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ} وأما إن دعا المخلوق بما لا يقدر عليه إلا الله؛ فإن دعوته شرك مخرج عن الملة. مثال ذلك: أن تدعو إنسانا أن ينزل الغيث معتقدا أنه قادر على ذلك[2].

ودعاء غير الله ممن يعتقد صلاحهم من الأحياء والأموات شائع بين الناس يقول ابن باديس: " إذا علمت هذه الأحكام، فانظر إلى حالتنا معشر المسلمين الجزائريين وغير الجزائريين، تجد السواد الأعظم من عامتنا غارقاً في هذا الضلال: فتراهم يدعون من يعتقدون فيهم الصلاح من الأحياء والأموات، يسألونهم حوائجهم من دفع الضر، وجلب النفع، وتيسير الرزق، وإعطاء النسل، وإنزال الغيث، وغير ذلك مما يسألون. ويذهبون إلى الأضرحة التي شيدت عليها القباب، أو ظللت بها المساجد فيدعون من فيها، ويدقون قبورهم، وينذرون لهم، ويستثيرون حميتهم، بأنهم خدامهم وأتباعهم، فكيف يتركونهم؟؟ وقد يهددونهم بقطع الزيارة، وحبس النذور. وتراهم هنالك في ذل وخشوع وتوجه، قد لا يكون في صلاة من يصلي منهم!! فأعمالهم هذه من دعائهم وتوجههم كلها عبادة لأولئك المدعوين، وإن لم يعتقدوها عبادة؛ إذ

[1] أخرجه: أحمد (68/2) ، وأبو داود (17/3) ، والنسائي (28/5) ، والحاكم (412/1) ، والبيهقي (99/4) . وصححه الحاكم والحافظ في "تخريج الأذكار"؛ كما في "الفتوحات" (250/5) .

[2] القول المفيد على كتاب التوحيد، ج1، ص121.

العبرة باعتبار الشرع، لا باعتبارهم. فيا حسرتنا على أنفسنا كيف لبسنا الدين لباساً مقلوباً، حتى أصبحنا في هذه الحالة السيئة من الضلال" [1].

ولم يتغيّر الحال كثيرا عمّا كان عليه الأمر زمن ابن باديس، فلا زالت الأضرحة تشيّد، ويشدّ إليها الرّحال، ويدعى أصحابها استجلابا للنّفع، ودفعا للضّرّ من دون الله، في عموم بلاد المسلمين، وفي بلادنا بالخصوص[2].

. **النّتيجة:** الدّعاء والعبادة أمران متلازمان، فلا عبادة بلا دعاء، ومن دعا غير الله فقد عبده، وخلط النّاس بين معنى الدّعاء ومعنى العبادة، جرّهم إلى دعاء غير الله، وعبادة المخلوقين من دون الله، وقد شاع هذا الأمر بين المسلمين جدّا لاسيّما في بلادنا.

الفرع الخامس: الإيمان بالأسماء والصفات.

. أقوال ابن باديس:

قال ابن باديس في تفسير بعض أسماء الله الحسنى: "﴿خَبِيرًا﴾: مطلعاً على دواخل أمورهم، وبواطن أسرارهم من أنفسهم، ومما يرتبط بهم ومن سوابقهم ومصائرهم و ﴿بَصِيرًا﴾ منكشفة له جميع أمورهم " [3]. وقال: " ﴿غَفُورًا﴾ : ستاراً للذنوب كثير التجاوز عنها و ﴿رَّحِيمًا﴾ دائم الإفاضة للنعم[4]. وقال أيضا: "﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾:المنعم الذي تتجدد نعمه في كل آن " [5]. وقال أيضا: "﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ الغالب الممنع الذي لا نظير له و ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: المنعم الدائم الإنعام والإحسان " [6]. وقال: "﴿الرب﴾ هو الخالق المدبر المنعم المتفضل " [7].

. دراستها:

---

[1] مجالس التذكير، ج1، 298

[2] ينظر: مبارك بن محمد الميلي الجزائري، رسالة الشرك ومظاهره، تح: أبي عبد الرحمن محمود، دار الراية للنشر والتوزيع، ط: 1 (1422هـ - 2001م)، ص282 وما بعدها.

[3] مجالس التذكير، ج1، ص، 236.

[4] المرجع نفسه، ج2، ص15.

[5] المرجع نفسه، ج2، ص82.

[6] المرجع نفسه، ج2، ص262.

[7] المرجع السابق، ج1، ص 185.

نلحظ في تفسير ابن باديس للرّحمان والرّحيم، أنها من تفسير الشي بلازمه وهو من تأويل الأشاعرة وغيرهم لأسماء الله وصفاته، ففسّر ـ رحمه الله ـ الرحمة بلازمها من الإنعام والإحسان، وقد تبع في هذا التفسير متكلّمي الأشاعرة وَالْمعتَزِلة وَمفَسّرِيهِمْ كالزّمَخشريّ وغيره ذُهولًا.

والسبب في تأويلهم لصفة الرّحمة ظنّهم أنّها لَيْسَتْ مِنْ صِفَاتِ الذات أَوْ صِفَاتِ الْمَعَانِي القَائِمة بِذَاتِهِ تَعَالَى لاستحالة مَعْنَاهَا اللّغَوِيِّ عَلَيْهِ فَيَجِبُ تَأْوِيلُهَا بِلَازِمِهَا وَهُوَ الْإِحْسَانُ فَتَكُونُ مِنْ صِفَاتِ الأفعال كَالْخَالِقِ الرّزّاق. وقال بعضهمْ: يُمْكِنُ تَأْوِيلُهَا بِإِرَادَةِ الإحسان فَتَرْجِعُ إِلَى صِفَةِ الْإِرَادَةِ فَلَا تَكُونُ صِفَةً مُسْتَقِلَّةً. وَهَذَا الْقَوْلُ مِنْ فَلْسَفَةِ المتكلمين الباطلة الْمُخَالَفَةِ لِهَدْيِ السَّلَفِ الصَّالِحِ.

والصّواب: أن صفة الرحمة كصفة العلم والإرادة والقدرة وسائر ما يسمّيه الأشاعرة صفات المعاني، ويقولون إنها صفات قائمة بذاته تعالى خلافا للمعتزلة. فإن معاني هذه الصفات كلها بحسب مدلولها اللغوي واستعمالها في البشر محال على الله تعالى.

فقاعِدَة السّلَف فِي جَمِيعِ الصّفاتِ الّتِي وصفَ الله تَعالى بِها نَفسهُ فِي كِتابِهِ وعَلى لسَان رسوله أَنْ نثبتها له ونمرها كما جاءت مع التنزيه عن صفات الخلق الثابت عقلا ونقلا بقوله – عَزَّ وَجَلَّ – (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) فنقول: إن لله علما حقيقيا هو وصف له، ولكنه لَا يشبه علمنا، وَإِنَّ لَهُ سَمْعًا حقيقيا هُوَ وَصْفٌ لَهُ لَا يُشْبِهُ سمعنا، وَإِنَّ لَهُ رَحْمَةً حقيقية هِيَ وَصْفٌ لَهُ لَا تُشْبِهُ رحمتنا الَّتِي هِيَ انْفِعَالٌ فِي النَّفْسِ، وَهَكَذَا نَقُولُ فِي سَائِرِ صِفَاتِهِ تَعَالَى فَنَجْمَعُ بِذَلِكَ بَيْنَ النَّقْلِ وَالْعَقْلِ، وأما التحكم بِتَأْوِيلِ بَعْضِ الصِّفَاتِ وَجَعْلِ إِطْلَاقِهَا مِنَ الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ. أَوِ الِاسْتِعَارَةِ التمثيلية كَمَا قَالُوا فِي الرَّحْمَةِ وَالْغَضَبِ وَأَمْثَالِهِمَا دُونَ الْعِلْمِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَأَمْثَالِهِمَا، فَهُوَ تَحَكُّمٌ فِي صِفَاتِ اللهِ وَإِلْحَادٌ فِيهَا[1].

. النّتيجة: مذهب ابن باديس في الإيمان بالأسماء والصفات، هو مذهب السلف عموما، وقد يقع منه تأويل كما في صفة الرّحمة على غير مذهب السلف ذهولا منه.

المطلب الثالث: ثمرات مقصد الإيمان بالله.

لمقصد الإيمان بالله ثمرات عظيمة أشار ابن باديس إلى بعضها، منها:

[1] ينظر: تفسير المنار، ج1، ص 65.

1 . إن إيمان العبد بالله يجعله مقبلا عليه في أعماله، مداوما على طاعته، مغتبطا في تقربه منه، دائم السرور في أداء واجباته التي أوجبها ربه عليه، قال ابن باديس: " فالمؤمن بالله يعمل موقناً برضاه، موقناً بلقائه وعظيم جزائه، فهو يعمل ولا يفشل، وسواء عليه أوصل إلى الغاية التي يسعى إليها، أم لم يصل إليها: بأن حال بينه وبينها موانع الدنيا أو مانع الموت، كانت مما تجنى ثماره في جيله أو لا تجنى ثماره إلاّ بعد أجيال. فأفادت الجملة المذكورة شرط القبول للعمل، وسر الدوام عليه والمضي بغبطة وسرور فيه" [1].

2 . إيمان الناس بالله ويقينهم في عدله وربوبيته التي يربي بها المربوب في أحواله وأطواره بمقتضى ما يصلح له بسطا للرزق وتقديرا فيه، يزيل الحيرة التي تعتريهم والشكوك التي تنتابهم، يقول ابن باديس: " كذلك بالإيمان بهذه العقيدة تزول حيرتهم، وتطمئن قلوبهم فيما يرونه من أحوال الرزق في أنفسهم، وفي غيرهم[2]. وقال . رحمه الله .: " قل للذين أرسلت إليهم: ما يبالي بكم ربي، ولا يعبأ بكم، ولا يكون لكم عنده وزر، لولا إيمانكم وعبادتكم. فإذا كذبتم وكفرتم، فهو لا يعبأ بكم، وسوف يكون العذاب ملازماً لكم بسبب تكذيبكم"[3].

4 . الإيمان بالله ينير قلب العبد، ويحمله على العمل الصالح، فيقبل عليه بنفس زكية راضية، وبه تستقيم الحياة وتنتظم شؤونها، وفي هذا يقول ابن باديس . رحمه الله .:" فالصالح هو من استنار قلبه بالإيمان والعقائد الحقة، وزكت نفسه بالفضيلة والأخلاق الحميدة، واستقامت أعماله وطابت أقواله؛ فكان مصدر خير ونفع لنفسه وللناس: استقام نظامه في عقده وخلقه وقوله وعمله، فعظمت وزكت منفعته، وهذا هو معنى الصالحين حيثما جاء، كما في قوله تعالى: ﴿وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّٰلِحِينَ﴾[النساء: 69]، وكما في حديث التشهد "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين[4]"[5]. وبين في موضع آخر أن العمل الصالح هو ثمرة الإيمان، فقال . رحمه الله .:

---

[1] المرجع السابق، ج1، ص127.

[2] المرجع نفسه، ج1، ص236.

[3] المرجع نفسه، ج2، ص183.

[4] قطعة من حديث، رواه البخاري (831) ، ومسلم (402) .

[5] مجالس التذكير، ج1، ص394.

" والعمل الصالح من ثمرات الإيمان الدال وجودها على وجوده، وكمالها على كماله، ونقصها على نقصه، وعدمها على اضطرابه ووشك انحلاله واضمحلاله[1].

5 . الإيمان بالله هو الطريق الموصل لله المكمل للنفس البشرية، التي يرتقي بها في درجات الكمال، يقول ابن باديس: " ولا يخلص من كدرات جثمانه ولا ينجو من أسباب نقصانه إلاّ بعبادة ربه، التي بها صفاء عقله، وزكاء نفسه، وطهارة بدنه في ظاهره وباطنه. فبعبادة ربه يكمل فيرقى في مراتب الكمال، ويدنو من الملأ الأعلى، عند الرب الأعلى ذي الجلال والإكرام. فالله طيب لا يقبل إلاّ الطيب، و﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: 10]، ولا طيب ولا كمال إلاّ للعابدين، فلا قيمة ولا قبول لغيرهم عند رب العالمين[2]. وكما أن الإيمان هو الطريق الموصلة إلى الله، فكذلك هو الطريق الأوحد الذي لا سبيل للنجاة إلا بسلوكه، وفي هذا يقول ابن باديس: " قد بين لك الطريق الذي يوصلك إلى مولاك ويرقيك في مراتب كمالك وعلاك، وما هو إلاّ عبادة ربك: فكن عبدا له في اختيارك واضطرارك وفي جميع أحوالك. واحذر أن تعتمد على شيء غير عبادته. واحذر أن تتوجه بشيء من عبادتك لغيره. ومن عبادتك- بل هو مخ عبادتك- دعاؤك وسؤالك واستغاثتك .. فإياك إياك أن تتوجه منه بشيء لغيره. فكن دائما عبداً لله، وكن دائماً عبداً له وحده، فذلك حقه عليك، وذلك السبب الوحيد الذي ينجيك ويعليك " [3].

---

[1] المرجع نفسه، ج2، ص142.

[2] المرجع نفسه، ج2، ص186.

[3] المرجع نفسه، ج2، ص187.

المبحث الثاني: مقصد الإيمان بالكتب، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى الإيمان بالكتب

المطلب الثاني: المقاصد الخاصة بالإيمان بالكتب

المطلب الثالث: ثمرات مقصد الإيمان بالكتب

المبحث الثاني: مقصد الإيمان بالكتب.

الإيمان بالكتب أصل من أصول العقيدة، وركن من أركان الإيمان، ولا يصح إيمان أحد إلا إذا آمن بالكتب التي أنزلها الله على رسله عليهم السلام.

المطلب الأول: معنى الإيمان بالكتب.

الاعتقادُ الجازم بأنَّ الله تعالى أنزل كتبا على رسله إلى أقوامهم، وأن هذه الكتب قد حوت عقيدة التوحيد الخالص لله تعالى، إضافةً إلى تشريعات خاصة بكل أمةٍ، إلا أن هذه التشريعات قد نُسختْ بعد نزول شريعةِ محمد – صلى الله عليه وسلم –[1].قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [المائدة: 48]

فنُؤْمِنُ بِجَمِيعِ كُتُبِ اللَّهِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى رُسُلِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَمِنْهَا التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالزَّبُورُ[2] وَالْقُرْآنُ. وَمِنْهَا غَيْرُهَا مِمَّا لَمْ نَعْلَمْهُ عَلَى سَبِيلِ التَّفْصِيلِ فَكُلُّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكُلُّ مَا فِيهَا حَقٌّ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ﴾[الشورى: 15] [3].

وقد حَفِظَ اللَّهُ الْقُرْآنَ مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصِ وَالتَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ، فَبَقِيَ كَمَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَهُوَ كُلُّهُ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَلَمْ يَحْفَظْ غَيْرَهُ مِنَ الْكُتُبِ فَدَخَلَتْ عَلَيْهَا الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصُ وَالتَّحْرِيفُ وَالتَّبْدِيلُ فَفِيهَا حَقٌّ وَفِيهَا بَاطِلٌ[4]، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: 9] [1].

---

[1] علي بن نايف الشحود، الواضح في أَركانُ الإيمانِ، بمانج دار المعمور، ط1، ص209. وانظر: أعلام السنة المنشورة، ص43.

[2] التوراة كتاب موسى عليه السلام. والإنجيل كتاب عيسى عليه السلام والزبور كتاب داود عليه السلام.

[3] العقائد الإسلامية، ص 101.

[4] حكى القاضي عياض أَنَّ الْقَاضِيَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنِ حَمَّادٍ الْمَالِكِيَّ الْبَصْرِيَّ سُئِلَ عَنْ السِّرِّ فِي حفظ القرآن وتعرض الكتب الأخرى للتحريف، فأجاب: " قال الله تعالى، في أهل التوراة: " بما استُحفِظوا من كتاب الله ". فوكل

نُؤْمِنُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى هِدَايَةً عَامَّةً لِجَمِيعِ الْبَشَرِ لِمَا فِيهِ سَعَادَتَهُمْ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ بِتَنْوِيرِ الْعُقُولِ، وَتَزْكِيَةِ النُّفُوسِ، وَتَقْوِيمِ الْأَعْمَالِ، وَإِصْلَاحِ الْأَحْوَالِ، وَتَنْظِيمِ الِاجْتِمَاعِ الْبَشَرِيِّ عَلَى أَكْمَلِ نِظَامٍ، وَأَنَّ كُلَّ مَا خَالَفَهُ فَهُوَ ضَالٌّ[2]، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: 1]، ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157][3].

وَمِنَ الْإِيمَانِ بِكِتَابِ اللَّهِ أَنْ نُؤْمِنَ بِأَنَّ كُلَّ مَا ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – فَهُوَ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَبَيَانٌ لِكِتَابِ اللَّهِ، وَأَنَّ الْأَخْذَ بِهِ أَخْذٌ بِالْقُرْآنِ، وَأَنَّ التَّرْكَ لَهُ تَرْكٌ لِلْقُرْآنِ[4]، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ۖ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: 7]، وقوله سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل: 44][5].

الحفظ إليهم. وقال في القرآن: " إنّا نحنُ نزّلْنا الذِّكر وإنّا له لحافظون ". فلم يجز التبديل عليهم. فذكر ذلك للمحاملي. فقال: ما سمعت كلاماً أحسن من هذا ". ترتيب المدارك وتقريب المسالك (283/4).

[1] العقائد الإسلامية، ص 102.

[2] قال السعديُّ . رحمه الله . في تفسيره ((هدى للمتقين)): " لأنه في نفسه هدى لجميع الخلق. فالأشقياء لم يرفعوا به رأسا، ولم يقبلوا هدى الله، فقامت عليهم به الحجة، ولم ينتفعوا به لشقائهم، وأما المتقون الذين أتوا بالسبب الأكبر، لحصول الهداية، وهو التقوى التي حقيقتها: اتخاذ ما يقي سخط الله وعذابه، بامتثال أوامره، واجتناب النواهي، فاهتدوا به، وانتفعوا غاية الانتفاع. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا} فالمتقون هم المنتفعون بالآيات القرآنية، والآيات الكونية. ولأن الهداية نوعان: هداية البيان، وهداية التوفيق. فالمتقون حصلت لهم الهدايتان، وغيرهم لم تحصل لهم هداية التوفيق. وهداية البيان بدون توفيق للعمل بها، ليست هداية حقيقية تامة " . ص40.

[3] العقائد الإسلامية، ص103.

[4] قال ابن حزم في معنى هذا الكلام: " فصح أن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كله في الدين وحي من عند الله عز وجل لا شك في ذلك ولا خلاف بين أحد من أهل اللغة والشريعة في أن كل وحي نزل من عند الله تعالى فهو ذكر منزل فالوحي كله محفوظ بحفظ الله تعالى له بيقين ". الإحكام في أصول الأحكام (121/1).

[5] العقائد الإسلامية، ص 104.

المطلب الثاني: المقاصد الخاصة بالإيمان بالكتب.

الإيمان بالكتب أصل من أصول العقيدة، وركن من أركان الإيمان، ولا يصح إيمان أحد إلا إذا آمن بالكتب التي أنزلها الله على رسله عليهم السلام و هو من أعظم المقاصد الإيمانية لنزول القرآن الكريم، وأغلب ما ورد من المقاصد الخاصة بالكتب كان متعلقا بالقرآن الكريم، ومنها:

الفرع الأول: القرآن كلام الله ووحيه.

. أقوال ابن باديس:

قال ابن باديس: " القرآن كلام الله ووحيه، ودليلها[1]: أنه حكيم، فما فيه من العلم وأصول العمل، لا يمكن أن يكون إلاّ عند الله، في عقائده ودلائلها وأحكامه وحكمها وآدابه وفوائدها. إلى ما فيه من حقائق كونية، كانت مجهولة عند جميع البشر، وما عرفت لهم إلاّ في هذا العصر الأخير. ومن أشهرها: مسألة الزوجية الموجودة في جميع هذا الكون حتى أصغر جزء منه، وهو الجوهر الفرد المركب من قوتين: موجبة وسالبة.

جاءت هذه المسألة في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات: 49]. ومنها مسألة حياة النبات، التي جاءت في مثل قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأنبياء: 30]. ومنها مسألة تلاقح النباتات بواسطة الرياح التي تنقل مادة التكوين من الذكر إلى الأنثى، جاءت في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ [الحجر: 22]. فهذه حقائق علمية كونية، أجمع عليها علماء العصر أنها من المكتشفات الحديثة، ولم تكن معلومة عند أحد من الخلق قبل اكتشافها، ولا كانت عندهم الآلات الموصلة إلى معرفتها " [2].

. دراستها:

تختلف طرائق العلماء في إثبات نسبة القرآن لله سبحانه، ومن أنجع الطرق خاصة في عصرنا، لفت الانتباه إلى الحقائق العلمية المثبتة والتي أشار إليها القرآن الكريم، ولم يكن بالإمكان إثباتها

---

[1] لأنه جعلها عقيدة من العقائد، فقال: " عقائد وأدلتها من الآيات: العقيدة الأولى محمد رسول الله...العقيدة الثانية: القرآن كلام الله ووحيه..."

[2] مجالس التذكير، ج2، ص271.

في ما مضى، ومن هذه الحقائق مسألة الزوجية في خلق الكائنات، فقد أثبت العلم حديثا أن الشجر والزرع لا يولدان التمر والحب إلا من اثنين ذكر وأنثى، وعضو التذكير قد يكون مع عضو التأنيث في شجرة واحدة كأغلب الأشجار، وقد يكون عضو التذكير في شجرة وعضو التأنيث في شجرة أخرى كالنخل، وما كان العضوان فيه في شجرة واحدة إما أن يكونا معا في زهرة واحدة كالقطن، وإما أن يكون كل منهما في زهرة كالقرع مثلا[1].

ومما يستوقف الذهن البشري حقيقة إشارة القرآن إلى أن أصل الكائنات جميعا واحد، وهي تتكون من زوجين اثنين، يقول تعالى: " ومن كل شيء خلقنا زوجين " [الذاريات: الآية49]....وقد يطمئن عقل الإنسان إلى معاني مثل هذه الآيات، بعد أن اكتشف العلم الحديث وحدة التركيب الذري للكائنات على اختلافها، وأن الذرة الواحدة تتكون من الكترون وبروتون[2].

. **النّتيجة**: ربانيّة القرآن الكريم، يمكن إثباتها في كلّ زمان، مهما بلغ الإنسان من تطوّر، وظهور مصدرية القرآن الكريم في هذا الزمان، أقوى ممّا كانت عليه في أي وقت مضى.

الفرع الثاني: نور القرآن.

. أقوال ابن باديس:

يقول ابن باديس . رحمه الله . : " إن الحاجة إلى إرشاد الله وتوفيقه دائمة متجددة، فكل عمل من أعمال الإنسان وكل حالة من أحواله هو محتاج فيه إلى هداية الله ودلالته؛ ليعرف ما يرضاه الله منه مما لا يرضاه. وهو محتاج فيه إلى توفيق الله وتيسيره ليقوم بما يرضاه منه، وشرّعه له ودلّه عليه، ولن يزال العبد– غير المعصومين (صلوات الله وسلامه عليهم) – تغشاه ظلمات الشبهات والشهوات، فيحتاج إلى دلالة الله وتوفيقه، ليخرج منها إلى نور الإيمان والاستقامة.

[1] انظر تفسير المراغي لقوله تعالى: (...ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين...) [الرعد: الآية3] ، ج13، 66.

[2] انظر: جلة عالم الفكر الكويتية، العدد3، ج1، من مقال: الإنسان والكون في الإسلام لأبي الوفا الغنيمي التفتازاني، ص114.

فالعبد محتاج دائماً إلى الرجوع إلى كتاب الله، وما ثبت من سنة نبيه- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- ليهتدي إلى ما يرضي الله، مما شرّعه له من أحواله وأفعاله، وإلى ما يدفع عنه شبهاته، وينقذه من شهواته. ومحتاج إلى التوسل بذلك الرجوع إليهما وذلك الاتباع لهما إلى الله، ليفتح له أبواب المعرفة، ويمد له أسباب التوفيق "[1].

. دراستها:

القرآن نور، فلا هداية في هذه الحياة إلا به، ومن طلب الهداية في غيره ضل، وقد سمى الله كتبه بالنور المبين، في قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ۝ ﴾ [النساء: 174]، قال السعدي: " وهو هذا القرآن العظيم، الذي قد اشتمل على علوم الأولين والآخرين والأخبار الصادقة النافعة، والأمر بكل عدل وإحسان وخير، والنهي عن كل ظلم وشر، فالناس في ظلمة إن لم يستضيئوا بأنواره، وفي شقاء عظيم إن لم يقتبسوا من خيره" [2].

. النّتيجة: للقرآن نور يحتاجه المسلم في كل حين، يدفع به عن نفسه ظلمات الشهوات والشبهات.

الفرع الثالث: القرآن هو المصدر الأول لعقائد الإسلام.

. أقوال ابن باديس:

قال . رحمه الله .: " فإنه كما لم يترك القرآن عقيدة من عقائد الإسلام إلاّ بينها وأوضح دليلها، ولا أصلاً من أصول أحكامه أو أصول آدابه إلاّ بينه واحتج له وذكر حكمته وثمرته، كذلك لم يترك شبهة من شبه الباطل إلاّ ردها بالطريقة الحسنة التي أمر بها" [3].

---

[1] مجالس التذكير، ج1، ص117.

[2] تيسر الكريم الرحمن ص217.

[3] المرجع نفسه، ج1، ص147.

وقال أيضا: " فكل ما يحتاج إليه العباد لتحصيل السعادتين من عقائد الحق، وأخلاق الصدق، وأحكام العدل، ووجوه الإحسان .. كل هذا فصل في القرآن تفصيلا: كل فصل على غاية البيان والأحكام."[1].

ويقول: " أدلة العقائد مبسوطة في القرآن العظيم بغاية البيان، ونهاية التيسير... فحق على أهل العلم أن يقوموا بتعليم العامة لعقائدها الدينية، وأدلة تلك العقائد من القرآن العظيم؛ إذ يجب على كل مكلف أن يكون في كل عقيدة من عقائده الدينية على علم. ولن يجد العامي الأدلة لعقائد سهلة قريبة إلاّ في كتاب الله، فهو الذي يجب على أهل العلم أن يرجعوا في تعليم العقائد للمسلمين إليه" [2].

. دراستها:

القرآن الكريم هو المصدر الأول لعقائد الإسلام، بينها ووضحها واحتج لها، وردّ كل الشبه الباطلة، التي يروجها المبطلون، وهذه العقائد مفصلة فيه تفصيلا محكما، لقوله سبحانه: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النحل: 89]، في أصول الدين وفروعه، وفي أحكام الدارين وكل ما يحتاج إليه العباد، فهو مبين فيه أتم تبيين بألفاظ واضحة ومعان جلية، حتى إنه تعالى يثني فيه الأمور الكبار التي يحتاج القلب لمرورها عليه كل وقت، وإعادتها في كل ساعة، ويعيدها ويبديها بألفاظ مختلفة وأدلة متنوعة لتستقر في القلوب فتثمر من الخير والبر بحسب ثبوتها في القلب، وحتى إنه تعالى يجمع في اللفظ القليل الواضح معاني كثيرة يكون اللفظ لها كالقاعدة والأساس، واعتبر هذا بالآية التي بعد هذه الآية وما فيها من أنواع الأوامر والنواهي التي لا تحصى، فلما كان هذا القرآن تبيانا لكل شيء صار حجة الله على العباد كلهم. فانقطعت به حجة الظالمين وانتفع به المسلمون فصار هدى لهم يهتدون به إلى أمر دينهم ودنياهم، ورحمة ينالون به كل خير في الدنيا والآخرة. فالهدى ما نالوه به من علم نافع وعمل صالح. والرحمة ما ترتب على ذلك من ثواب الدنيا والآخرة، كصلاح القلب وبره وطمأنينته، وتمام العقل الذي لا يتم إلا بتربيته على معانيه التي هي أجل المعاني وأعلاها، والأعمال الكريمة

---

[1] المرجع نفسه، ج1، ص159.

[2] المرجع نفسه، ج1، ص270.

والأخلاق الفاضلة، والرزق الواسع والنصر على الأعداء بالقول والفعل ونيل رضا الله تعالى وكرامته العظيمة التي لا يعلم ما فيها من النعيم المقيم إلا الرب الرحيم[1].

فالواجب على المسلمين عموما أن لا يأخذوا عقيدتهم إلا من القرآن، ولن يجدوا أسهل ولا أقرب من أدلة القرآن في بسط العقائد وتقريرها.

. **النّتيجة:** لم يترك القرآن الكريم شيئا ممّا يحتاجه المسلم في دينه إلّا بينه أتمّ بيان، وفصّله أكمل تفصيل، بأسهل أسلوب وأبسط عبارة، وتقرير العقائد الإسلامية إنما يكون من القرآن والسنة الشارحة له، وقد امتثل ابن باديس لهذا المنهج السلفي في تقرير العقيدة، وتعليمها و لا أدلّ على ذلك من كتابه " العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ".

الفرع الرابع: القرآن شفاء.

. أقوال ابن باديس:

قال ابن باديس: " وأفادت الآيات كلها أنه شفاء لأهل الإيمان الذين يؤمنون دون غيرهم، فإنهم بإعراضهم عنه كانوا من الخاسرين. وجاءت آية يونس[2] بتقييد الشفاء بها في الصدور الذي هو مستقر العقائد، لأن ذلك هو المقصود الأول من هداية القرآن، وأصل لغيره، فإنه إذا شفيت الصدور من عقائد السوء، ونزعات الشكوك، واعتقدت الحق، وارتبطت على اليقين؛ زكت النفوس واستقام سلوك الإنسان فرده وجماعاته، ورقي درجات الكمال"[(3)].

. دراستها:

القرآن الكريم شفاء للمؤمن من أمراض الشكوك والشبهات، التي تعتريه، من وساوس الشيطان، ونزغاته، ومن عقائد الباطل وزخرفاته، فهو شفاء للقلوب من داء الجهل، والشك والريب. فلم ينزل الله سبحانه من السماء شفاء قط أعم ولا أنفع، ولا أعظم، ولا أسرع في إزالة الداء من القرآن[4].

---

[1] تفسير السعدي، ص446.

[2] قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: 57]،

[(3)] مجالس التذكير، ج1، ص355.

[4] تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، تح: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال – بيروت، ط: 1 – 1410 هـ، ص363.

والأمراض على نوعين أمراض شبهات وأمراض شهوات والقرآن شفاء للنوعين معا. ففيه من البينات والبراهين القطعية ما يبين الحق من الباطل، فتزول أمراض الشبه المفسدة للعلم والتصور والإدراك، بحيث يرى الأشياء على ما هي عليه، وليس تحت أديم السماء كتاب متضمن للبراهين والآيات على المطالب العالية: من التوحيد، وإثبات الصفات، وإثبات المعاد والنبوات، ورد النحل الباطلة والآراء الفاسدة، مثل القرآن. فإنه كفيل بذلك كله، متضمن له على أتم الوجوه وأحسنها، وأقربها إلى العقول وأفصحها بيانا. فهو الشفاء على الحقيقة من أدواء الشبه والشكوك، ولكن ذلك موقوف على فهمه ومعرفة المراد منه.... وأما شفاؤه لمرض الشهوات فذلك بما فيه من الحكمة والموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب، والتزهيد في الدنيا، والترغيب في الآخرة، والأمثال والقصص التي فيها أنواع العبر والاستبصار، فيرغب القلب السليم إذا أبصر ذلك فيما ينفعه في معاشه ومعاده ويرغب عما يضره، فيصير القلب محبا للرشد، مبغضا للغي. فالقرآن مزيل للأمراض الموجهة للإرادات الفاسدة، فيصلح القلب، فتصلح إرادته، ويعود إلى فطرته التي فطر عليها، فتصلح أفعاله الاختيارية الكسبية، كما يعود البدن بصحته وصلاحه إلى الحال الطبيعي، فيصير بحيث لا يقبل إلا الحق، كما أن الطفل ليس بقابل إلا اللبن[1].

. **النّتيجة:** القرآن الكريم يشفي من كل أنواع الأمراض، وإن كان الأصل الأول شفاؤه لأمراض الصدور من عقائد السوء، ونزغات الشكوك.

الفرع الخامس: هجر القرآن.

. أقوال ابن باديس:

قال ابن باديس: " ونحن- معشر المسلمين- قد كان منا للقرآن العظيم هجر كثير في الزمان الطويل، وإن كنا به مؤمنين: بسط القرآن عقائد الإيمان كلها بأدلتها العقلية القريبة القاطعة فهجرناها، وقلنا: تلك أدلة سمعية لا تحصل اليقين، وأخذنا في الطرائق الكلامية المعقّدة، واشكالاتها المتعددة، واصطلاحاتها المحدثة، مما يصعب أمره على الطلبة فضلاً عن العامة "[(2)].

---

[1] انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن قيم الجوزية، تح: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ج1، ص46.

[(2)] مجالس التذكير، ج 2، ص 44.

وقال: " في شكوى النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- من هجر القرآن دليل على أن ذلك من أصعب الأمور وأبغضها لديه. وفي حكاية القرآن لهذه الشكوى وعيد كبير للهاجرين بإنزال العقاب بهم إجابة لشكوى نبيه. ولما كان الهجر طبقات أعلاها عدم الإيمان به؛ فلكل هاجر حظه من هذه الشكوى وهذا الوعيد. "[1].

وقال ـ رحمه الله ـ:" الناس عند تلاوة آيات القرآن على قسمين: معرضين ومقبلين، فالمعرضون غير المؤمنين. والمقبلون على قسمين: مقبلين بظاهرهم دون باطنهم، ومقبلين بظاهرهم وباطنهم. فالمقبلون بظاهرهم دون باطنهم هم المنافقون، والمقبلون بظاهرهم وباطنهم على قسمين: مستمعين، مستبصرين، حاضرين، متدبرين، وغافلين غير متدبرين غير سامعين ولا مبصرين. والأقسام كلها مذمومة إلاّ قسم المقبلين بظواهرهم وبواطنهم، المستمعين المستبصرين. وهذا القسم هو الذي وصف به عباد الرحمن، فكانوا مباينين لأهل الإعراض من الكافرين والمنافقين، ولأهل الغفلة، وعدم التدبر من المؤمنين "[2].

. دراستها:

القرآن الكريم هو عز المسلمين، وسبب رفعتهم وظهورهم في الدنيا على أعدائهم، و لما هجر المسلمون القرآن، آل حالهم إلى مانحن فيه، وهجر القرآن طبقات كما أشار إلى ذلك ابن باديس، وقد بيّن ابن القيّم رحمه الله هذه الطبقات، فجعلها خمسة هي:

الأولى: هجر سَمَاعه، وَالْإِيمَان بِهِ، والإصغاء إِلَيْهِ.

الثانية: هجر الْعَمَل بِهِ، وَالْوُقُوف عِنْد حَلَاله وَحَرَامه وَإِن قَرَأَهُ وآمن بِهِ.

الثالثة: هجر تحكيمه والتحاكم إِلَيْهِ فِي أصُول الدّين وفروعه، واعتقاد أَنه لَا يُفِيد الْيَقِين وَأَن أدلته لفظية لَا تحصّل الْعلم.

الرابعة: هجر تدبّره وتفهّمه، وَمَعْرِفَة مَا أَرَادَ الْمُتَكَلّم بِهِ مِنْهُ.

الخامسة: هجر الِاسْتِشْفَاء والتداوي بِهِ فِي جَمِيع أمراض الْقلب وأدوائها، فيطلب شِفَاء دائه من غَيره، ويهجر التَّدَاوِي بِهِ.

---

[1] المرجع نفسه، ج2، ص43.

[2] المرجع نفسه، ج 2، ص 164.

وكل هَذَا دَاخل فِي قَوْله ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان : الآية 30]، وَإِن كَانَ بعض الهجر أَهْون من بعض[1].

و من أقبح أنواع هجر القرآن، هجر تدبره والتفكر فيه، وقد صرح القرآن بذم من لم يتدبر كتابه فقال فيه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: 24]، وعرّض في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ [الفرقان: 73]، قرؤوا القرآن وتلقوه بالقبول، لكنهم لما لم يتدبروه ويتفكروا فيه، كانوا كالصمّ العميان، يقول ابن باديس ـ رحمه الله ـ: " قد صورت الآية حالة المؤمن بالقرآن الذي ينكب عليه، ويتلقاه بالقبول، ثم لا يتفهمه ولا يتدبره، بحالة الأصم الأعمى في عدم انتفاعه بما انكب عليه، تقبيحاً لعدم التفهم والتدبر من المؤمن للآيات، وتحذيراً منه وتنبيهاً على أن الانتفاع بالقرآن الذي تتفتح به البصائر، وتتسع به المدارك، وتتهذب به الأخلاق، وتتزكى به النفوس، وتتقوم به الأعمال، وتستقيم به الأحوال؛ إنما يكون بتفهمه، وتدبره، دون مجرد الانكباب عليه بلا تفهم ولا تدبر. "[(2)].

. النّتيجة: لا نجاة لنا من هذا التيه الذي نحن فيه والعذاب المنوَّع الذي نذوقه ونقاسيه: إلا بالرجوع إلى القرآن: إلى علمه وهديه. وبناء العقائد والأحكام والآداب عليه. والتّفقّه فيه وفي السنة النبوية وشرحه وبيانه. والاستعانة على ذلك بإخلاص القصد، وصحة الفهم، والاعتضاد بأنظار العلماء الراسخين، والاهتداء بهديهم في الفهم عن رب العالمين "[(3)].

الفرع السادس: الجهاد بالقرآن.

. أقوال ابن باديس:

[1] الفوائد، ص 82.

[(2)] مجالس التذكير، ج2، ص164.

[(3)] المرجع السابق، ج2، ص48.

قال ابن باديس: " ... وكما يجاهد أهل الكفر بالقرآن العظيم الجهاد الكبير كذلك يجاهد به أهل المعصية لأنه كتاب الهداية لكل ضال، والدعوة لكل مرشد. وفي ذكر الكافرين تنبيه على العصاة على التنبيه بالأعلى على الأدنى؛ لاشتراكهم في العلة وهي المخالفة "[1].

وقال ـ رحمه الله ـ : " ...وكما أن الجهاد بالقرآن العظيم هو فرض عليه، فكذلك هو فرض على أمته هكذا على الإجمال. وعند التفصيل تجده فرضاً على الدعاة والمرشدين الذين يقومون بهذا الفرض الكفائي على المسلمين "[2].

ـ دراستها:

أعظم أنواع الجهاد هو الجهاد بالقرآن العظيم، فبه يجاهد الكافر والعاصي، وكما فرض الجهاد بالقرآن على النبي صلى الله عليه وسلم، فقد فرضه على أمته، ولا يكون جهاد الحجة والبيان في الدعوة إلى الله إلا به، ففيه إحقاق الحق من الدين، وإبطال الباطل من شبه المشبهين وضلالات الضالين، وإنكار الجاحدين. وفيه بيان العقائد وأدلتها، ورد الشبه عنها.

وقد أَمَرَ الله بِجِهَادِ الْكُفَّارِ بِالْحُجَّةِ وَالْبَيَانِ وَتَبْلِيغِ الْقُرْآنِ، وَكَذَلِكَ جِهَادُ الْمُنَافِقِينَ إِنَّمَا هُوَ بِتَبْلِيغِ الْحُجَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾، [التوبة: 73] فَجِهَادُ الْمُنَافِقِينَ أَصْعَبُ مِنْ جِهَادِ الْكُفَّارِ، وَهُوَ جِهَادُ خَوَاصِّ الْأُمَّةِ وَوَرَثَةِ الرُّسُلِ، وَالْقَائِمُونَ بِهِ أَفْرَادٌ فِي الْعَالَمِ، وَالْمُشَارِكُونَ فِيهِ وَالْمُعَاوِنُونَ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانُوا هُمُ الْأَقَلِّينَ عَدَدًا فَهُمُ الْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرًا[3].

ـ النّتيجة: الجهاد بالقرآن من أعظم أنواع الجهاد، يجاهد به الكافر والمنافق والفاسق، ولا يقدر على هذا الجهاد إلا ورثة الأنبياء من العلماء.

---

[1] المرجع نفسه، ج2، ص 72.

[2] المرجع نفسه، ج2، ص 72

[3] ابن القيّم، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط:27، 1415هـ /1994م، ج3، ص5.

المطلب الثالث: ثمرات مقصد الإيمان بالكتب.

1 . العلم بحكمة الله تعالى في شرعه حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم، كما قال الله تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: الآية 48]، فلكل أمة من الأمم الحاضرة والماضية وضعنا شرعة ومنهاجا خاصين بها، فالأمة التي كانت من مبعث موسى إلى مبعث عيسى- عليهما السلام-، كانت شرعتها ما في التوراة من أحكام. والأمة التي كانت من مبعث عيسى إلى مبعث محمد- عليهما الصلاة والسلام كانت شرعتها ما في الإنجيل. وأما هذه الأمة الإسلامية فشريعتها ما في القرآن من أحكام، لأنه مشتمل على ما جاء في الكتب السابقة عليه من أصول الدين وكلياته التي لا تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة وزاد عليها ما يناسب العصر الذي نزل فيه، والعصور التي تلت ذلك إلى يوم القيامة[1].

2 . التحرر من زبالات أفكار البشر بهدي السماء، قال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿50﴾ ﴾ [المائدة: الآية50]، قال ابن كثير: ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم- المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شرّ- وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن جنكزخان الذي وضع لهم (الياسق) وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى، من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها. وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعا متبعا يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. فمن فعل ذلك منهم فهو. كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله[2].

3 . السير على طريق مستقيمة واضحةٍ لا اضطراب فيها ولا اعوجاج.يقول ابن باديس . رحمه الله . : " فالتالي للقرآن المتدبر لآياته يكون متفكراً في مخلوقات الله وما فيها من حكم

---

[1] محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط: 1، ج4، ص182.

[2] تفسير القرآن العظيم، ج3، 131

ومن نعم، وفي معاني أسمائه وصفاته، وفي مظاهر رحمته وإحسانه وبطشه وانتقامه، وفي أسباب ثوابه وعقابه، وفي مواقع رضاه وسخطه. كما يكون التالي أيضاً متبصراً في عقائده خيراً بأدلتها ورد الشبه عنها، كما يكون أيضاً مستحضراً لربه في قلبه باستحضار حقوقه ونعمه وآلائه، إذ هذا كله مما تضمنته آي القرآن، على أكمل بيان، وأوضح برهان[1].

4 . الفرح بذلك الخير العظيم، قال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: الآية 58]. قال السعدي . رحمه الله .: " {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ} الذي هو القرآن، الذي هو أعظم نعمة ومنة، وفضل تفضل الله به على عباده {وَبِرَحْمَتِهِ} الدين والإيمان، وعبادة الله ومحبته ومعرفته. {فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} من متاع الدنيا ولذاتها. فنعمة الدين المتصلة بسعادة الدارين، لا نسبة بينها، وبين جميع ما في الدنيا، مما هو مضمحل زائل عن قريب. وإنما أمر الله تعالى بالفرح بفضله ورحمته، لأن ذلك مما يوجب انبساط النفس ونشاطها، وشكرها لله تعالى، وقوتها، وشدة الرغبة في العلم والإيمان الداعي للازدياد منهما، وهذا فرح محمود" [2].

5 . التحرر من التخبط الفكري والعقدي، يقول ابن باديس: " إن تلاوة القرآن بالتَّدبر تثمر للتالي التوبة والإنابة، والرجاء والخوف، وذلك كله مما يكون له خير داع إلى الاستقامة- ولو بعض الشيء،- في سلوكه العملي.

هذا شيء قليل مما للقرآن في الذكر بأنواعه الثلاثة، إلى ما فيه من علم مصالح العباد في المعاش والمعاد، وبسط أسباب الخير والشر والسعادة والشقاوة في الدنيا والأخرى وعلم النفوس وأحوالها، وأصول الأخلاق والأحكام وكليات السياسة والتشريع وحقائق الحياة في العمران والاجتماع، ونظم الكون المبنية على الرحمة والقوة والعدل والإحسان. إلى ما تقصر عن عدِّ الألسنة وتعجز عن الإحاطة به الأفهام، وإنما ينال كل تال منها على قدر ما عنده من سلامة قصد وصحة علم بتقدير وتيسير من الحكيم العليم[3].

---

[1] مجالس التذكير، ج1، ص77.

[2] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص366.

[3] مجالس التذكير، ج1، ص77.

6 . ظهور حكمة الله تعالى حيث شرع في هذه الكتب لكل أمة ما يناسبها، وكان خاتم الكتب القرآن العظيم مناسبا لجميع الخلق في كل عصر ومصر إلى قيام الساعة. قال سبحانه: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: الآية 48]، قال السعدي . رحمه الله .: " وَأَنزلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ الذي هو القرآن العظيم، أفضل الكتب وأجلها.... مشتملا على ما اشتملت عليه الكتب السابقة، وزيادة في المطالب الإلهية والأخلاق النفسية. فهو الكتاب الذي تتبع كل حق جاءت به الكتب فأمر به، وحث عليه، وأكثر من الطرق الموصلة إليه. وهو الكتاب الذي فيه نبأ السابقين واللاحقين، وهو الكتاب الذي فيه الحكم والحكمة، والأحكام الذي عرضت عليه الكتب السابقة، فما شهد له بالصدق فهو المقبول، وما شهد له بالرد فهو مردود، قد دخله التحريف والتبديل، وإلا فلو كان من عند الله، لم يخالفه" [1].

[1] تيسير الكريم الرحمن، ص234.

المبحث الثالث: مقصد الإيمان بالرسل، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى الإيمان بالرسل

المطلب الثاني: المقاصد الخاصة بالإيمان بالرسل

المطلب الثالث: ثمرات مقصد الإيمان بالرسل

المبحث الثالث: مقصد الإيمان بالرسل.

الإيمان بالرسل أصل من أصول العقيدة، وركن من أركان الإيمان، ولا يصح إيمان أحد إلا إذا آمن بالرسل الذين أرسلهم الله إلى خلقه.

المطلب الأول: معنى الإيمان بالرسل.

الإيمان بالرسل أن يؤمنَ المرءُ إيماناً جازما بكل نبيٍّ ورسولٍ[1] عُرفتْ نبوتُه ورسالتُه عن طريق القرآن الكريمِ أو السنةِ الصحيحة إجمالاً وتفصيلاً. فمن عُرف منهم بأسمائهم آمنا بهم بأعيانهم على التفصيل، ومن لم يعرف منهم بأسمائهِم آمنا بهم على سبيل الإجمال، دون أن ننكر نبوةَ أو رسالةَ أحدٍ منهم[2].

ويتحقق الإيمان بهم بأمور هي:

1 . أنهم قَوْم فَطَرَهُمْ عَلَى الْفَضَائِلِ وَالْكَمَالَاتِ، وَعَصَمَهُمْ مِنَ الرَّذَائِلِ وَالنَّقَائِصِ وَهَيَّأَهُمْ لِمُلَاقَاةِ الْمَلَائِكَةِ الْأَطْهَارِ، لِيَتَلَقُّوا مِنْهُمْ وَحْيَ اللَّهِ وَبَيَانَهُ لِلْعِبَادِ، فَيُبَلِّغُوهُ إِلَيْهِمْ، وَيَكُونُوا قُدْوَةً لَهُمْ فِي تَنْفِيذِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ[3].

2 . هُمْ حُجَّةُ اللَّهِ وَشُهُودُهُ، أَنْبَأَهُمُ اللَّهُ بِوَحْيِهِ، وَأَرْسَلَهُمْ لِتَبْلِيغِهِ لِخَلْقِهِ، لِيُعَرِّفُوهُمْ بِهِ وَبِشَرْعِهِ، وَيُنَبِّهُوهُمْ إِلَى آيَاتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ بِإِنْعَامَاتِهِ، وَيُبَشِّرُوهُمْ بِالسَّعَادَةِ وَالنَّجَاةِ إِذَا اتَّبَعُوهُمْ، وَيُخَوِّفُوهُمْ مِنَ الشَّقَاوَةِ وَالْهَلَاكِ إِذَا خَالَفُوهُمْ، فَقَامَتْ بِهِمْ – لَمَّا بَلَّغُوا الرِّسَالَةَ وَأَدَّوُا الْأَمَانَةَ – حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ وَكَانُوا – وَهُمُ الْعُدُولُ الْأُمَنَاءُ الصَّادِقُونَ – شُهَدَاءَهُ عَلَيْهِمْ يَوْمَ لِقَائِهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾

---

[1] اختلف أهلُ العلم في الفرق بين الرسول والنبيّ، والشائعُ المشتهر . عند العلماء .: أن الرسول من بعثه الله إلى قوم، وأنزل عليه كتابًا، أو لم ينزل عليه كتابًا لكن أوحى إليه بحكم لم يكن في شريعة من قبله؛ والنبي من أمره الله أن يدعو إلى شريعة سابقة دون أن ينزل عليه كتابًا، أو يوحي إليه بحكم جديد ناسخ أو غير ناسخ، وعلى ذلك، فكل رسول نبي، ولا عكس. مذكرة التوحيد، لعبد الرزاق عفيفي، ص49. وانظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، ص117.

[2] علي بن نايف الشحود، أَركانُ الإيمانِ، ط: 4، مزيدة ومنقحة، 1431 هـ - 2010 م، ص96. وانظر أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، ص48.

[3] العقائد الإسلامية، ص 106.

وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿164﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: 163 . 165].[1].

3 . معجزات الرسل: لَمَّا أَرْسَلَ اللَّهُ الرُّسُلَ لِهِدَايَةِ خَلْقِهِ، وَإِقَامَةِ حُجَّتِهِ، أَيَّدَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ، وَهِيَ كُلُّ مَا تَبَيَّنَ بِهِ الْحَقُّ، مِنْ كَمَالِ سِيرَتِهِمْ فِي قَوْمِهِمْ، وَوُضُوحِ بَيَانِهِمْ. وَقُوَّةِ حُجَّتِهِمْ، وَأَيَّدَهُمْ بِالْآيَاتِ الْمُعْجِزَاتِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ الْمَعْجُوزِ عَنْ مُعَارَضَتِهَا، فَكَانُوا يَدْعُونَ الْخَلْقَ بِالْحِجَجِ وَالْبَرَاهِينِ. فَإِذَا سَأَلُوهُمْ آيَةً رَدُّوا الْأَمْرَ إِلَى اللَّهِ وَتَبَرَّأُوا مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ مَعَهُ تَصَرُّفٌ فِي الْكَوْنِ حَتَّى يَأْتُوا بِالْآيَاتِ، فَيُعْطِيهِمُ اللَّهَ الْآيَاتِ تَأْيِيدًا لَهُمْ، وَتَخْوِيفًا لِقَوْمِهِمْ: فَيَخْضَعَ قَوْمٌ فَيُؤْمِنُونَ، وَيَسْتَمِرَّ الْأَكْثَرُونَ عَلَى الْعِنَادِ، فَتَحِقَّ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ، – لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ [الحديد: 25][2].

4 . هُمْ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى عُلُوِّ مَنْزِلَتِهِمْ لَا يَمْتَازُونَ عَنِ الْخَلْقِ فِي تَمَامِ عُبُودِيَّتِهِمْ، بِافْتِقَارِهِمْ إِلَى اللَّهِ، وَجَرَيَانِ قَدَرِهِ عَلَيْهِمْ وَعَدَمِ مُلْكِهِمْ شَيْئًا مَعَهُ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي مُلْكِهِ، وَعَدَمِ عِلْمِهِمُ الْغَيْبَ إِلَّا مَا عَلَّمَهُمُ اللَّهَ، وَجَرَيَانِ شَرْعِهِ عَلَيْهِمْ وَقِيَامِهِمْ بِمَا كُلِّفُوا بِهِ خَاضِعِينَ لِلَّهِ رَاجِينَ خَائِفِينَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿57﴾ ﴾ [الإسراء: 57][3].

5 . هُمْ عِبَادُ اللَّهِ يُخَاطِبُهُمْ بِمَا شَاءَ، وَيُعَاتِبُهُمْ بِمَا أَرَادَ، فَيَعْتَرِفُونَ وَيَسْتَغْفِرُونَ، وَلَيْسَ لَنَا فِيمَا عُوتِبُوا عَلَيْهِ وَاسْتَغْفَرُوا مِنْهُ إِلَّا حِكَايَةَ لَفْظِهِ كَمَا ثَبَتَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، مَعَ اعْتِقَادِ احْتِرَامِهِمْ وَإِكْبَارِهِمْ.

---

[1] المرجع السابق، ص 109.

[2] المرجع نفسه، ص 111.

[3] المرجع نفسه، ص 114.

وَأَنَّ اللَّهَ يُعَاتِبُهُمْ عَلَى قَدَرِ عُلُوِّ مَنْزِلَتِهِمْ. وَأَنَّهُمْ لِكَمَالِ مَعْرِفَتِهِمْ بِرَبِّهِمْ وَعَظِيمِ حَقِّهِ عَلَيْهِمْ يَرَوْنَ مَا لَا يُعَدُّ تَقْصِيرًا بِالنِّسْبَةِ لِغَيْرِهِمْ تَقْصِيرًا بِالنِّسْبَةِ لَهُمْ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [الأحزاب: 57][1].

6 . خَتَمَ اللَّهُ الرِّسَالَةَ بِمُحَمَّدٍ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ –. وَجَعَلَ رِسَالَتَهُ الرِّسَالَةَ الْعَامَّةَ لِلْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْمَلَائِكَةِ. وَجَعَلَ شَرِيعَتَهُ الشَّرِيعَةَ الْجَامِعَةَ لِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْبَشَرُ فِيمَا بَقِيَ آخِرُ أَطْوَارِهِمْ فِي وُجُودِهِمْ، وَهُوَ طَوْرُ رُقِيِّهِمْ الْعَقْلِيِّ وَالْعَمَلِيِّ وَالْعِمْرَانِيِّ، فَأَغْنَتْ عَمَّا قَبْلَهَا مِنَ الشَّرَائِعِ فَكَانَتْ نَاسِخَةً لَهَا. وَلِهَذَا جَعَلَ آيَتَهُ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ آيَةً عَقْلِيَّةً خَالِدَةً، يَخْضَعُ لَهَا وَيَهْتَدِي بِهَا كُلُّ مَنْ سَمِعَهَا وَفَهِمَهَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: 40][2].

المطلب الثاني: المقاصد الخاصة بالإيمان بالرسل.

الإيمان بالرسل من أعظم المقاصد الإيمانية لنزول القرآن الكريم، وأغلب ما ورد من المقاصد الخاصة بالرسل كان متعلقا بالنبي صلى الله عليه وسلم، ومنها:

الفرع الأول: كمال الأنبياء والرسل وبشريّتهم.

. أقوال ابن باديس:

قال ابن باديس: " الأنبياء والمرسلون أكمل النوع الإنساني، وهم المثل الأعلى في كماله وقد كان أصل كمالهم بطهر أرواحهم وكمالها؛ فأقبل على روحك بالتزكية والتطهير، والترقية والتكميل، ولا سبيل إلى ذلك إلاّ بالاقتداء بهم، والاهتداء بهديهم. وقد قال الله تعالى لنبينا– عليه الصلاة والسلام: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾[الأنعام: 90]. فاقرأ ما قصه القرآن العظيم من أقوالهم وأعمالهم، وأحوالهم وسيرهم، وتفقه فيه، وتمسك به؛ تكن إن شاء الله– تعالى– من الكاملين" [3].

---

[1] المرجع السابق، ص115.

[2] المرجع نفسه، ص 116.

[3] مجالس التذكير، ج2، ص28.

وقال ـ رحمه الله ـ: " الرسول إنسان ذو روح طاهرة نورانية علوية؛ بها تَأَتَّى له تلقي الوحي من الملائكة. وذو جسد بشري تجري عليه ضروريات البشرية الخلقية دون نقائصها الكسبية، لأنه مصرف بتلك الروح العلوية الظاهرة التي لا يصدر عنها إلاّ الخير، وبهذا الجسد البشري تأتى للبشر الأخذ عنه والاقتداء به[1].

ـ دراستها:

لا يتعارض كمال الرّسل والأنبياء مع كونهم بشر، إذ هذا الكمال إنما هو في النّوع الإنساني، والله سبحانه وتعالى قد أهّل هؤلاء الرسل لتحمّل الرسالة، اصطفاء منه واختيارا، والذين يستعظمون ويستبعدون اختيار الله بعض البشر لتحمّل الرسالة لا يقدرون الإنسان قدره، فالإنسان مؤهل لتحمّل الأمانة العظمى، أمانة الله التي أشفقت السماوات والأرض والجبال من حملها، ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: 72].

والذين استعظموا اختيار الله البشر رسلاً نظروا إلى المظهر الخارجي للإنسان، نظروا إليه على أنه جسد يأكل ويشرب وينام، ويمشي في الأرض لتلبية حاجاته ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان: 7]، ولم ينظروا إلى جوهر الإنسان، وهو تلك الروح التي هي نفخة من روح الله ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: 29]. وبهذه الروح تميز الإنسان، وصار إنساناً، واستخلف في الأرض، وقد أودعه الله الاستعداد للاتصال به عن طريق تلك النفخة العلوية التي ميزته، فلا عجب أن يختار الله واحداً من هذا الجنس، صاحب استعداد للتلقي، فيوحي إليه ما يهدي به إخوانه إلى الطريق كلّما غام عليهم الطريق، وما يقدم به إليهم العون كلّما كانوا بحاجة إلى العون ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [إبراهيم: 11].

ثمَّ إنّ الرسل يُعدّون إعداداً خاصّاً لتحمُّل النبوة والرسالة، ويصنعون صنعاً فريداً ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾ [طه: 41]، واعتبر هذا بحال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كيف رعاه

[1] المرجع نفسه، ج2، ص27.

الله وحاطه بعنايته على الرغم من يتمه وفقره ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ [الضحى: 6 – 8]، وقد زكّاه وطهّره، وأذهب عنه رجس الشيطان، وأخرج منه حظّ الشيطان منذ كان صغيراً، فعن أنس بن مالك ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه، فصرعه، فشقّ عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظُّ الشيطان منك، ثمّ غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمّه[1]، يعني ظئره، فقالوا: إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللّون، قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره))[2].

وحدث قريب من هذا عندما جاءه جبريل يهيئه للرحلة الكبرى للعروج به إلى السماوات العلى، ففي حديث الإسراء: ((فرج سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل صلى الله عليه وسلم، ففرج صدري، ثمّ غسله من ماء زمزم، ثمّ جاء بطست من مذهب ممتلئ حكمة وإيماناً، فأفرغها في صدري، ثم أطبقه))[3].[4]

. النّتيجة: الأنبياء والرسل هم أكمل الخلق وأفضلهم، وكمالهم بكمال أرواحهم وطُهرها، ومع كمالهم في النوع الإنساني، فإنهم يوافقوننا في الخلقة البشرية، وكلما اقتدى بهم الإنسان كلّما ارتقى في درجات الكمال، فكلما زاد الاقتداء زاد الكمال والعكس بالعكس.

الفرع الثاني: الأنبياء لا يعلمون من الغيب إلاّ ما أعلمهم الله به.

. أقوال ابن باديس:

---

[1] المقصود: أمه من الرضاع، وهي حليمة السعدية.

[2] رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بَابُ الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاوَاتِ، وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ (261).

[3] متفق عليه، رواه البخاري، كتاب الصلاة، بَابٌ: كَيْفَ فُرِضَتِ الصَّلاَةُ فِي الإِسْرَاءِ؟ (349)، ومسلم،كتاب الإيمان، باب بَابُ الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاوَاتِ، وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ (263) واللفظ له.

[4] عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر، الرسل والرسالات لعمر الأشقر، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت، ط: 4، 1410 هـ – 1989 م، ص 70.

قال ـ رحمه الله ـ: " لا يعلم أحد من الأنبياء– عليهم السلام– شيئاً مما غاب عنه إلاّ بإعلام الله، فليس لهم كشف عام عن جميع ما في الكون، وإنما يعلمون منه ما أطلعهم الله عليه "[1].

ـ دراستها:

الأنبياء على علو منزلتهم ورفعة مكانتهم، فإنهم لا يعلمون الغيب، يقول سبحانه في كتابه: ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾ [النمل: 65].

وَقَدْ أَمَرَ تَعَالَى نبيّه أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ ﴾ [الأنعام: 50].

ـ النّتيجة: علم الغيب من خصائص الربوبية، والأنبياء على رفعة منزلتهم لا يعلمون من الغيب إلا ما أذن الله لهم بعلمه..

الفرع الثالث: رحمة الرسل بالخلق.

ـ أقوال ابن باديس:

قال ابن باديس: " لما ضل الخلق عن طريق الحق والكمال، الذي يوصلهم إليه: إلى مرضاته والفوز بما لديه، أرسل إليهم الرسل ليعرفوهم بأن ذلك الطريق هو الإسلام، ويكونوا أدلتهم في السير، وقادتهم إلى الغاية، وأنزل عليهم الكتب لينيروا لهم بها الطريق، ويقودوهم على بصيرة، ويزكوهم على البيضاء ليلها كنهارها[2]، لا يهلك عليها إلاّ من ظلم نفسه فحاد عن السواء، أو تخلف عن القافلة فكان من الهالكين. فالقافلة هم الخلق، والطريق هو الإسلام، والأدلة هم الرسل، والمصابيح هي الكتب، والغاية هو الله جل جلاله. " [3].

---

[1] المرجع نفسه، ج2، ص235.

[2] أخرج أبو داود (4604)، والترمذي (2676)، وابن ماجه (42)، وأحمد (17144)، باختلاف يسير، عن العرباض بن سارية ـ رضي الله عنه ـ قال : " وعظَنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآلِه وسلَّمَ مَوعظةً ذَرَفَتْ منها العيونُ ووجِلَتْ منها القلوبُ فقلنا يا رسولَ اللهِ إنَّ هذه لموعِظَةَ مُوَدِّعٍ فماذا تعهَدُ إلينا ؟ فقال : تركتُكم على البيضاءِ ليلِها كنهارِها لا يزيغُ عنها بعدي إلا هالِكٌ ، ومن يَعِشْ منكم فسَيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بما عرَفتُم من سُنَّتي وسُنَّةِ الخلفاءِ المهدِيِّينَ الرَّاشدينَ . وعليكم بالطاعةِ وإن كان عبدًا حبشيًّا عَضُّوا عليها بالنَّواجذِ فإنما المؤمنُ كالجملِ الأَنِفِ كلما قِيدَ انقَادَ ". قال الشوكاني: " ثابت، ورجاله رجال الصحيح ". الفتح الرباني (5 / 2229).

[3] محالس التذكير، ج2، ص264.

وقال: " وقد فطر الله رسله- عليهم الصلاة والسلام- على الرحمة وحب الخير؛ فكانوا أحرص الناس على نجاة الناس وكمالهم وسعادتهم، فصبروا على تكذيبهم وإذايتهم، حتى أدوا أمانة الله إليهم، وأقاموا حجته عليهم، وكان الله ينجيهم ومن آمن بهم، وينزل عقوبته بالمكذبين لهم، وينصرهم عليهم" [1].

وقال . رحمه الله .: " وقد كان- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- رحمة للعالمين، شديد الشفقة على الخلق أجمعين حريصاً على هدايتهم إلى الصراط المستقيم، حتى خاطبه ربه بقوله: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [الشعراء: 3]. أي قاتل نفسك غماً لعدم إيمانهم، وكان أساس شرعه على العدل والإحسان: العدل مع كل أحد، والإحسان إلى كل شيء، فقال تعالى: ﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ﴾ [المائدة: 8]. أي لا يحملنكم بغض قوم على عدم العدل فيهم- وقال صلى الله عليهم وآله وسلم: «ان الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتْلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة»[2] [3].

. دراستها:

أرسل الله الرسل رحمة بخلقه، ليدلوهم إلى طريق الحق، وينقذوهم من الضلال، والرسل هم أرحم الخلق بالخلق، وكما أن الرسل هم أرحم الخلق فإن محمدا صلى الله عليه وسلم أرحم الرسل بالخلق، قال عنه ربه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: 107].

فالله مَا أَرْسَلَ الأنبياء وما أرسل هَذَا النَّبِيَّ الْكَرِيمَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - إِلَى الْخَلَائِقِ إِلَّا رَحْمَةً لَهُمْ؛ لأنه جاء بما يسعدهم إن اتبعوه. ومن خالف ولم يتبع. فإنما أتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها. ومثاله: أن يفجر الله عينا غديقة، فيسقى ناس زروعهم ومواشيهم بمائها فيفلحوا، ويبقى ناس مفرطون عن السقي فيضيعوا، فالعين المفجرة في نفسها، نعمة من

---

[1] المرجع نفسه، ج2، ص274.

[2] صحيح: رواه مسلم، كِتَابُ الصَّيْدِ وَالذَّبَائِحِ وَمَا يُؤْكَلُ مِنَ الْحَيَوَانِ، بَابُ الْأَمْرِ بِإِحْسَانِ الذَّبْحِ وَالْقَتْلِ، وَتَحْدِيدِ الشَّفْرَةِ (1955) وأبو داود (2811) والنسائي (7 / 227 و 229 و 230) والدارمي (2 / 82) وابن ماجه (3170) وأحمد (4 / 123 و124 و 125) من حديث شداد بن أوس.

[3] مجالس التذكير، ج1، ص 177.

الله ورحمة للفريقين، ولكن الكسلان محنة على نفسه، حيث حرمها ما ينفعها. وَيُوَضِّحُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ [إبراهيم: 28] وَكَوْنُهُ رَحْمَةً لِلْكُفَّارِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ عُقُوبَتَهُمْ أُخِّرَتْ بِسَبَبِهِ، وَأَمِنُوا بِهِ عَذَابَ الِاسْتِئْصَالِ[1].

. **النّتيجة:** أرسل الله الرسل رحمة للخلق ورسوله صلى الله عليه وسلّم أرحم الخلق بالخلق، فحريّ بأتباعه أن يكونوا أرحم الناس للناس.

الفرع الرابع: محمد رسول الله.

. أقوال ابن باديس:

قال ابن باديس: " عقيدة محمد رسول الله وأدلتها:

دليلها الأول: القرآن الحكيم الذي جاء به رجل أمي، ما قرأ ولا كتب، ولا دارس العلماء، ولا عرف الكتب[2].

ودليلها الثاني: موافقة دعوته- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- لدعوة المرسلين- صلوات الله عليهم- إلى عبادة الله وحده، وتصديق ما جاءهم به من عنده، دون أن يسألهم على ذلك أجراً، وهذا من قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [يس: 3]. فهو من المرسلين من جهة إرساله؛ لأنه منهم في أقواله وأفعاله نظير قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: 9]، وقوله: ﴿ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات: 37]،

ودليلها الثالث: هذا الدين الكامل الجامع[3]، الذي هدي به النوع الإنساني أفراداً وجماعات إلى ما فيه سعادته، فأطلق فكره، وسدد نظره، وقوم عقائده، وهذب أخلاقه، ونظم اجتماعه، ووضع له قواعد الحياة والعمران على العدل والإحسان، ووجههم إلى خالقهم، وما أعد لهم عنده من النعيم المقيم والرضوان التام.

---

[1] انظر: الكشاف، ج3، ص139، وأضواء البيان، ج4، ص251.

[2] قال سبحانه: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾[العنكبوت: 48]

[3] قال سبحانه: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: الآية3].

ودليلها الرابع: سلوكه هو في حياته على الصراط المستقيم، من يوم عرف الدنيا حتى فارقها؛ فكان يمثله على أكمل وجه، ولا يُخل بشيء منه، ثابتاً عليه، لا يحيد قيد شعرة عنه، دون أن تحفظ عنه زلة، ولا تعرف منه في القيام به والدعوة إليه فترة، ولا تقف أمامه قوة، ولا ترد له حادثة عزمه، ولا تحمله على هوادة فيه رغبة ولا رهبة، ولا تبدل حاله رخاء ولا شدة.

فكان في كرم خلقه، وتمام زهده، وعظيم تألهه وتوجهه لربه، بعدما فتح الله له الفتح المبين، ودخل الناس أفواجاً في الدين.

كما كان أيام كان وحيداً بين أعظم أعدائه من المشركين، وما هذا من شأن البشر وطبعهم لولا عصمة وتأييد رب العالمين[1].

. دراستها:

قد استوفى ابن باديس الأدلّة على نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم، والْآيَاتُ وَالْبَرَاهِينُ الَّتِي تدلّ عَلَى صِحَّةِ نُبُوَّتِهِ وَصِدْقِهِ أَضْعَاف أَضْعَاف آيَاتِ مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الرُّسُلِ، فَلَيْسَ لِنَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ آيَةٌ تُوجِبُ الْإِيمَانَ بِهِ إِلَّا وَلِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلُهَا، أَوْ مَا هُوَ فِي الدَّلَالَةِ مِثْلُهَا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ جِنْسِهَا. فَآيَاتُ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْظَمُ وَأَكْبَرُ، وَأَبْهَرُ وَأَدَلُّ، وَالْعِلْمُ بِنَقْلِهَا قَطْعِيٌّ لِقُرْبِ الْعَهْدِ وَكَثْرَةِ النَّقَلَةِ، وَاخْتِلَافِ أَمْصَارِهِمْ وَأَعْصَارِهِمْ، وَاسْتِحَالَةِ تَوَاطُئِهِمْ عَلَى الْكَذِبِ، فَالْعِلْمُ بِآيَاتِ نُبُوَّتِهِ كَالْعِلْمِ بِنَفْسِ وُجُودِهِ، وَظُهُورِهِ وَبَلَدِهِ، بِحَيْثُ لَا تُمْكِنُ الْمُكَابَرَةُ فِي ذَلِكَ، وَالْمُكَابِرُ فِيهِ فِي غَايَةِ الْوَقَاحَةِ وَالْبَهْتِ، كَالْمُكَابَرَةِ فِي وُجُودِ مَا شَاهَدَ النَّاسُ، وَلَمْ يُشَاهِدْهُ هُوَ مِنَ الْبِلَادِ وَالْأَقَالِيمِ وَالْجِبَالِ وَالْأَنْهَارِ[2].

. النّتيجة: دلائل نبوّة محمد صلى الله كثيرة جدّا، منها القرآن الكريم الذي لا يمكن للبشر الإتيان بمثله، ومنها موافقة دعوته لدعوة إخوانه من الأنبياء والمرسلين من قبله، ومنها كمال الشريعة التي جاء بها.

---

[1] مجالس التذكير، ج2، ص269.

[2] ابن القيم، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تح: محمد أحمد الحاج، دار القلم- دار الشامية، جدة – السعودية، ط: 1، 1416هـ - 1996م، ج2، ص578.

الفرع الخامس: نور محمد صلى الله عليه وسلم.

. أقوال ابن باديس:

قال ابن باديس . رحمه الله .: " فلما بعث الله محمداً- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- كان بقوله وبفعله وبسيرته معرفاً للخلق بما كانوا يجهلون؛ فكان نوراً سطع في ذلك الظلام الحالك فبدده عن البصائر. وكما أن النور الكوني يجلو الموجودات الكونية للأبصار فكذلك كان محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ذلك النور الرباني، يجلو تلك الحقائق للبصائر. وكما أن النور الكوني يظهر الموجودات الكونية، فلا يحرم منها إلاّ معدوم البصر، فكذلك كان محمد- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- ذلك النور الرباني، مجلياً للحقائق للبشرية كلها، ولا يحرم من إدراكها إلاّ مطموسو البصائر، الذين زاغوا فأزاغ الله قلوبهم. وكما كان محمد- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- نوراً تنبعث من أقواله وأفعاله وسيرته الأشعة الكاشفة للحقائق- كذلك كان الكتاب الكريم الذي أنزله الله عليه، يبين بسوره وآياته وكلماته تلك الحقائق أجلى بيان. فبمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وكتابه، تمت نعمة الله تعالى على البشرية كلها، بإظهار وبيان كل ما تحتاج إلى إظهاره وبيانه" [1].

. دراستها:

وصف المولى سبحانه وتعالى محمدّا صلى الله عليه وسلم بالنور، فقال في كتابه: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة: 15]. قال قتادة: يعني بالنور: النبي محمّدا صلّى الله عليه وسلّم[2]، قال الألوسي: " قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ عظيم وهو نور الأنوار والنبي المختار صلّى الله عليه وسلّم"[3].

وذلك أن الخلق كانوا في ظلمة عظيمة، لا نور، يهتدى به في ظلماتها، ولا علم، يستدل به في جهالاتها حتى جاء الله بهذا النبي الكريم، فأضاء الله به تلك الظلمات، وعلم به من

---

[1] مجالس التذكير، ج1، ص110.

[2] أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: 1 - 1422 هـ، ج1، ص529.

[3] شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 1، 1415 هـ، ج3، ص269.

الجهالات، وهدى به ضُلالا إلى الصراط المستقيم. فأصبح أهل الاستقامة، قد وضح لهم الطريق، فمشوا خلف هذا الإمام وعرفوا به الخير والشر، وأهل السعادة من أهل الشقاوة، واستناروا به، لمعرفة معبودهم، وعرفوه بأوصافه الحميدة، وأفعاله السديدة، وأحكامه الرشيدة[1].

. النّتيجة: محمد- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- نور تنبعث من أقواله وأفعاله وسيرته الأشعة الكاشفة للحقائق، فيهتدي به الخلق، إلا من أعمى الله بصائرهم.

الفرع السادس: المقام المحمود.

. أقوال ابن باديس:

قال: " والمقام المحمود هو مقامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، للشفاعة العظمى، يشفع للخلائق وقد جهدوا من كرب الموقف. فجاءوا إلى كبراء الرسل- عليهم الصلاة والسلام- يسألونهم أن يشفعوا لهم إلى ربهم، ليفصل القضاء، ويريحهم من كرب الموقف، فيتدافع الشفاعة أولئك الرسل- عليهم الصلاة والسلام- ويتنصلون منها بأعذار رهيبة للرب جل جلاله، حتى ينتهوا إليه- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- فيتقدم فيشفع، ويسأل فيعطى. جاء هذا كله مفصلًا في الأحاديث الصحيحة المستفيضة[(2)]. فيحمده الخلق كلهم لما يرون من فضله عند ربه، ولما وصل إليهم من الخير المطلوب بسببه "[(3)].

. دراستها:

اختصّ النبي صلى الله عليه وسلم بالمقام المحمود، قال سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء: 79]

وقد ساق ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية[4] جملة من الأحاديث في هذا منها: ما أخرجه البخاري عن ابن عمر قال: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع، يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فذلك يوم

---

[1] تفسير السعدي، 667.

[(2)] وقد بلغت التواتر، قال ابن حجر: " وَجَاءَتِ الْأَحَادِيثُ فِي إِثْبَاتِ الشَّفَاعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ مُتَوَاتِرَةً " فتح الباري (ج11 / ص 426)، وانظر شرح مسلم للنووي (3 / 35).

[(3)] مجالس التذكير، ج1، ص338.

[4] انظر ابن كثير (5 / 103 و 105).

يبعثه الله مقاما محمودا». وروى الإمام أحمد والترمذي عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا كان يوم القيامة، كنت إمام الأنبياء وخطيبهم. وصاحب شفاعتهم غير فخر» . وروى ابن جرير عن أبي هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله- تعالى- : عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً فقال: «هو المقام الذي أشفع لأمتي فيه»[1].

. **النّتيجة**: المقام المحمود هو مقام شفاعته للناس في عرصات يوم القيامة، وقد خصّ الله به نبيّه محمدا دون سائر خلقه.

المطلب الثالث: ثمرات مقصد الإيمان بالرسل.

للإيمان بالرسل ثمرات[(2)] جليلة، منها:

1 – معرفةُ الله تعالى المعرفةَ الصحيحة عن طريق ما جاء به الرسل عليهم السلام. يقول ابن باديس . رحمه الله . : " قد علم الله حاجة عباده إلى التذكير، فاصطفى منهم رجالاً أنعم عليهم بكمال الفكرة ووقاية العصمة، وأرسلهم لتذكير العباد ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: 165]، ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿208﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ [الشعراء: 208 و 209]. فالأنبياء والمرسلون- عليهم الصلاة والسلام- هم أولو هذا المقام الجليل، مقام التذكير. ثم من بعدهم ورثتهم من العلماء العاملين " [(3)].

[1] ثبت في حديث الشفاعة الطويل من أكثر من طريق، وفيه: « ... ارفع رأسك وقل يُسمعْ واشفعْ تشفع» أن الشفاعة ثابتة له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. وقد أخرج هذا الحديث البخاري في باب التوحيد 19 و24 و36، وباب الرقاق 51، وباب أحاديث الأنبياء 3، وباب تفسير سورة البقرة 1، وباب سورة الإسراء 5. ومسلم في الإيمان حديث 322 و327. والترمذي في تفسير سورة الإسراء باب19، والقيامة باب15. وابن ماجة في الزهد باب37. والدارمي في المقدمة باب8. وأحمد في المسند (1/ 5، 282، 296، 436/ 2، 3/ 116، 144، 178، 244، 248).

[(2)] علي بن نايف الشحود، أَركانُ الإيمانِ، ط: 4، مزيدة ومنقحة، 1431 هـ - 2010 م، ص133.

[(3)] مجالس التذكير، ج1، ص50

يقول ابن تيمية – رحمه الله تعالى: "والإيمان بالنبوة أصل النجاة والسعادة، فمن لم يُحقّق هذا الباب اضطرب عليه باب الهدى والضلال، والإيمان والكفر، ولم يُميّز بين الخطأ والصواب"[1].

ويقول تلميذه ابن القيم يقول – رحمه الله: "فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا يُنال رضي الله البتة إلا على أيديهم. فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاؤوا به؛ فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميّز أهل الهدى من أهل الضلال. فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها. فأي ضرورة وحاجة فرضت فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير. وما ظنّك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين، فسد قلبك، وصار كالحوت إذا فارق الماء ووضع في المقلاة. فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسل كهذه الحال، بل أعظم، ولكن لا يحسّ بهذا إلا قلب حيّ. وما لجرحٍ بميتٍ إيلام[2].

2 – بيانُ عظيم عناية الله تعالى بعبادهِ حيث أرسل إليهم رسلاً من أنفسهِم يبينون لهم آياتهِ وشريعتهِ، ويبشرونهم بجزيل الثواب لمن أمنَ بهم، و ينذرون من كفرَ بهم سوءَ العقاب.

" فَمِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَأَشْرَفِ مِنَّةٍ عَلَيْهِمْ: أَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رُسُلَهُ؛ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كُتُبَهُ؛ وَبَيَّنَ لَهُمْ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانُوا بِمَنْزِلَةِ الْأَنْعَامِ وَالْبَهَائِمِ بَلْ أَشَرَّ حَالًا مِنْهَا فَمَنْ قَبِلَ رِسَالَةَ اللَّهِ وَاسْتَقَامَ عَلَيْهَا فَهُوَ مِنْ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ وَمَنْ رَدَّهَا وَخَرَجَ عَنْهَا فَهُوَ مِنْ شَرِّ الْبَرِيَّةِ وَأَسْوَأُ حَالًا مِنْ الْكَلْبِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْحَيَوَانِ الْبَهِيمِ. وَفِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ. وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَانْتَفَعُوا وَزَرَعُوا. وَأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا

---

[1] النبوات، تح: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1420هـ/2000م، ج1، ص507.

[2] زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط: 27 ، 1415هـ /1994م، ج1، ص69.

أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً. فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْت بِهِ))[1] [2].

3 – بيانُ إمكان بلوغِ البشر درجاتٍ عاليةٍ في القرب من الله تعالى بالطاعة، لأن المرسلينَ إليهم هم من جنسِهم، قال الله تعالى آمرا رسوله – صلى الله عليه وسلم – أن يبينَ ذلك للناس: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾ [فصلت: 6]. يقول ابن باديس . رحمه الله . : " وصلاح القلب بمعنى النفس بالعقائد الحقة والأخلاق الفاضلة وإنما يكونان بصحة العلم وصحة الإرادة، فإذا صلحت النفس هذا الصلاح صلح البدن كله بجريان الأعضاء كلها في الأعمال المستقيمة، وإذا فسدت النفس من ناحية العقد أو ناحية الخلق أو ناحية العلم أو ناحية إرادة فسد البدن وجرت أعمال الجوارح على غير وجه السداد. فصلاح النفس هو صلاح الفرد، وصلاح الفرد هو صلاح المجموع، والعناية الشرعية متوجهة كلها إلى إصلاح النفوس. إما مباشرة وإما بواسطة، فما من شيء مما شرعه الله تعالى لعباده من الحق، والخير، والعدل، والإحسان، إلا وهو راجع عليها بالصلاح، وما من شيء نهى الله تعالى عنه من الباطل والشر والظلم والسوء، إلا وهو عائد عليها بالفساد، فتكميل النفس الإنسانية هو أعظم المقصود من إنزال الكتب وإرسال الرسل، وشرع الشرائع[3].

---

[1] متفق على صحته، خرّجه البخاري (79) واللفظ له، ومسلم (2282).

[2] مجموع الفتاوى، ج19ن ص100.

[3] مجالس التذكير، ج1، ص209.

المبحث الرابع: مقصد الإيمان باليوم الآخر، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:معنى الإيمان باليوم الآخر

المطلب الثاني: المقاصد الخاصة بالإيمان باليوم الآخر

المطلب الثالث: ثمرات مقصد الإيمان باليوم الآخر

المبحث الرابع: مقصد الإيمان باليوم الآخر.

اليوم الآخر هو يوم القيامة وهو يوم الحساب، وسمي باليوم الآخر؛ لأنه يأتي بعد هذه الدنيا، وهو ركيزة من ركائز العقيدة الإسلامية ومن أهم أركان الإيمان.

المطلب الأول: تعريف الإيمان باليوم الآخر.

معنى الإيمان باليوم الآخر: التصديق الجازم بإتيانه لا محالة، والعمل بموجب ذلك. ويدخل في ذلك الإيمان بأشراط الساعة وأماراتها التي تكون قبلها لا محالة. وبالموت وما بعده من فتنة القبر وعذابه ونعيمه وبالنفخ في الصور وخروج الخلائق من القبور وما في موقف القيامة من الأهوال والأفزاع وتفاصيل المحشر: نشر الصحف، ووضع الموازين، وبالصراط والحوض، والشفاعة وغيرها، وبالجنة ونعيمها الذي أعلاه النظر إلى وجه الله عز وجل، وبالنار وعذابها الذي أشده حجبهم عن ربهم عز وجل[1].

ويتضمن الإيمان باليوم الآخر أمورا هي:

1 . نُؤْمِنُ بِانْتِهَاءِ وُجُودِ هَذَا الْعَالَمِ الدُّنْيَوِيِّ، عِنْدَ انْتِهَاءِ أَجَلِ وُجُودِهِ فِي عِلْمِ اللَّهِ: فَيَنْحَلُّ نِظَامَ هَذَا الْكَوْنِ، فَيَخْرَبُ الْكَوْنُ الْعُلْوِيِّ، كَمَا يَخْرَبُ الْكَوْنُ السُّفْلِيِّ، لِيَكُونَ وُجُودَ الْعَالَمِ الْأُخْرَوِيِّ فِي كَوْنٍ آخَرَ، وَنِظَامٍ آخَرَ، إِذِ الَّذِي قَدَرَ عَلَى خَلْقِهِ وَنِظَامِهِ، قَادِرٌ عَلَى إِعْدَامِهِ وَإِبْطَالِ نِظَامِهِ، وَعَلَى خَلْقِ مِثْلِهِ وَنِظَامِهِ. لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿103﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾[هود: 103 و 104]، وقوله سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: 187][2].

2 . نُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحْيِينَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَيُعِيدُنَا بِأَرْوَاحِنَا وَأَجْسَادِنَا: فَيَبْعَثُنَا مِنْ قُبُورِنَا وَمِنْ حَيْثُ كُنَّا، إِلَى الْمَوْقِفِ الْأَعْظَمِ، لِلْمُحَاسَبَةِ عَلَى الْأَعْمَالِ وَالْجَزَاءِ عَلَيْهَا، إِذْ ذَاكَ جَائِزٌ فِي قُدْرَتِهِ، وَوَاجِبٌ فِي عَدْلِهِ وَحِكْمَتِهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ

---

[1] حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، ص55.

[2] العقائد الإسلامية، ص119.

﴿ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۖ ﴾ [الجاثية: 26]، و قال تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ [الأنبياء: 104]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ ﴾ [القصص: 85][1].

3 . نُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْصِبُ الْمِيزَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَتُوزَنُ أَعْمَالُ الْعِبَادِ لِيُجَازُوا عَلَيْهَا، وَيُقْتَصُّ مِنْ بَعْضِهِمْ الْبَعْضُ، فَمَنْ رَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ نَجَا، وَمَنْ رَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُ عُذِّبَ، إِذْ ذَاكَ وَاجِبٌ فِي عَدْلِ اللَّهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۖ ﴾ [الأنبياء: 47]، وقال سبحانه: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝7 وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۚ ﴾ [الزلزلة: 7 و 8][2].

4 . وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ يَضْرِبُ الصِّرَاطَ عَلَى ظَهْرِ جَهَنَّمَ فَيَمُرُّ عَلَيْهِ النَّاسُ أَجْمَعُونَ فَيَنْتَهِي أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَسْقُطُ مِنْهُ فِي النَّارِ أَهْلُ النَّارِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝71 ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: 71 و 72][3].

5 . وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ خَلَقَ النَّارَ دَارَ عَذَابٍ وَخُلُودٍ لِمَنْ كَفَرَ، وَدَارَ عَذَابٍ إِلَى أَجَلٍ لِمَنْ رَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُمْ عَلَى حَسَنَاتِهِمْ فَاسْتَحَقُّوا الْعَذَابَ. وَأَنَّ الْعَذَابَ فِيهَا لِلْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَادِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝106 خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۖ ﴾ [هود: 106 و 107]، وَلِحَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ –:"يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ

---

[1] المرجع السابق، ص120.

[2] المرجع نفسه، ص123.

[3] المرجع نفسه، ص125.

قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنْ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنْ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنْ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً "[1] ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ [النساء: 56][2].

6 – نُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْجَنَّةَ دَارَ نَعِيمٍ وخُلُودٍ لِلْمُؤْمِنِينَ وَأَنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ وَأَنَّ النَّعِيمَ فِيهَا لِلْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَادِ. وَأَنَّ أَعْظَمَ نَعِيمِهَا هُوَ رِضْوَانُ اللَّهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود: 108]، ولِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف: 50]، وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [المرسلات: 43]، وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: 72][3].

المطلب الثاني: المقاصد الخاصة بالإيمان باليوم الآخر.

مقاصد القرآن الكريم من الإيمان باليوم الآخر تبدأ من الموت إلى البعث والحشر والشفاعة والحساب ثم إلى الجنة والنار.

الفرع الأول: طرق القرآن في إثبات البعث.

. أقوال ابن باديس:

قال ـ رحمه الله ـ: " يعرّف الله تعالى عباده بأنه هو الذي يحيي الموتى دون غيره، ويذكرهم بما يشاهدونه من ذلك فيهم، وهم أجنة في بطون أمهاتهم؛ فيؤمنون بأنه يحييهم كذلك بعد موتهم، فيستعدون من حياتهم الأولى لحياتهم الثانية "[4].

. دراستها:

---

[1] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

[2] العقائد الإسلامية، ص127.

[3] المرجع نفسه، ص128.

[4] مجالس التذكير، ج2، ص301.

للقرآن الكريم طرائق عدة في إثبات البعث، ومن هذه الطرائق تذكيرهم بخلقهم وهم أجنة في بطون أمهاتهم ونشأتهم الأولى، قال تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ ﴾ [الحج: 5]، يَقُولُ سُبْحَانَهُ: إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ الْبَعْثِ فَلَسْتُمْ تَرْتَابُونَ فِي أَنَّكُمْ مَخْلُوقُونَ، وَلَسْتُمْ تَرْتَابُونَ فِي مَبْدَأِ خَلْقِكُمْ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ إِلَى حِينِ الْمَوْتِ، وَالْبَعْثُ الَّذِي وَعُدْتُمْ بِهِ نَظِيرُ النَّشْأَةِ الْأُولَى فَهُمَا نَظِيرَانِ فِي الْإِمْكَانِ وَالْوُقُوعِ، فَإِعَادَتُكُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ خَلْقًا جَدِيدًا كَالنَّشْأَةِ الْأُولَى الَّتِي لَا تَرْتَابُونَ فِيهَا، فَكَيْفَ تُنْكِرُونَ إِحْدَى النَّشْأَتَيْنِ مَعَ مُشَاهَدَتِكُمْ لِنَظِيرِهَا؟ وَقَدْ أَعَادَ سُبْحَانَهُ هَذَا الْمَعْنَى وَأَبْدَاهُ فِي كِتَابِهِ بِأَوْجَزِ الْعِبَارَاتِ، وَأَدَلِّهَا، وَأَفْصَحِهَا، وَأَقْطَعِهَا لِلْعُذْرِ، وَأَلْزَمِهَا لِلْحُجَّةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ٥٨ ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٥٩ نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦١ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الواقعة: 58- 62]، فَدَلَّهُمْ بِالنَّشْأَةِ الْأُولَى عَلَى الثَّانِيَةِ، وَأَنَّهُمْ لَوْ تَذَكَّرُوا لَعَلِمُوا أَنْ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا فِي تَعَلُّقِ الْقُدْرَةِ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا، وَقَدْ جَمَعَ سُبْحَانَهُ بَيْنَ النَّشْأَتَيْنِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ٤٥ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ٤٦ وَأَنَّ عَلَيۡهُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ﴾[النجم: 45 - 47] وَفِي قَوْلِهِ: ﴿ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقٗا فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ٣٨ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣٩ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡيِـَٔ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ [القيامة:37-40]، فَتَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ عَشَرَةَ أَدِلَّةٍ على إمكان البعث[1].

. **النّتيجة**: طرق القرآن الكريم في إثبات البعث كثيرة، ومنها، تذكير العباد بنشأتهم الأولى، وقياس نشأة البعث عليها.

[1] انظر تفصيلها في إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم، تح: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 1، 1411هـ - 1991م، ج1، ص109 ومابعدها.

الفرع الثاني: التسليم لأخبار اليوم الآخر.

. أقوال ابن باديس:

قال . رحمه الله .: " يجب فيما يرد من الأخبار عنه أن يحمل على ظاهره، ولو كان غير معتاد في الدنيا؛ لأن أحوال العالم الآخر لا تقاس على أحوال هذا العالم "[1].

. دراستها:

مشاهد يوم القيامة من عالم الغيب الذي يجب التسليم فيه للأخبار، ويمتنع قياسه على ما يشاهده الناس في عالم الشهادة، فعن أنس بن مالك- رضي الله تعالى عنه- أن رجلًا قال: «يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه؛ قال- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ-: أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟!»[2]. فعلى المؤمن أن يؤمن بكل ما جاء به الكتاب والسنة من هذه الأمور الغيبية، وأن لا يعارضها بما يشاهد في الدنيا، فإن أمور الآخرة لا تقاس بأمور الدنيا لظهور الفرق الكبير بينها[3].

. النّتيجة: لا تقاس مشاهد يوم القيامة الواردة في الأخبار، بأحوال الناس في الدنيا.

الفرع الثّالث: تفاوت الناس في الدرجات يوم القيامة على حسب أعمالهم.

. أقوال ابن باديس:

قال . رحمه الله .: " وكما فضل بعض خلقه على بعض في دار الابتلاء، كذلك فضل بعضهم على بعض في دار الجزاء. لكن التفضيل هنالك أكبر، والتفاوت بين العباد أظهر، في مواقف القيامة، وفي داري الإقامة، ويا بعد ما بين من في الجنة ومن في النار! وأهل النار متفاوتون في دركاتها، وأهل الجنة متفاوتون في درجاتها... وفي هذا ترغيب للخلق في تحصيل الفضل في درجات الآخرة؛ فإنهم إنما يتهالكون في الدنيا على أن يفضل بعضهم بعضاً في شيء منها، وهي الدار الفانية. فلم لا يتسابقون فيما ينالون به الفضل في الدار الباقية؟! مع أن من عمل لنيل الفضل في الآخرة- وما عملها إلاّ الخير والمعروف- حاز الفضل والسعادة

[1] مجالس التذكير، ج2، ص66.

[2] أخرجه البخاري في تفسير سورة 25 باب 1، ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم حديث 54.

[3] العثيمين، عقيدة أهل السنة والجماعة، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، ط: 4، 1422 هـ، ص27.

فيهما على أفضل وجه، وأكمل حال. فللآخرة ونيل درجاتها فليعمل العاملون، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون[1].

. دراستها:

فاضل الله سبحانه بين عباده في الدنيا، وباين بينهم في الدرجات، فقال سبحانه: ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ [الزخرف: 32]، هذا في الدنيا والتفاوت في الآخرة أكبر، إن لأهل الجنة أو لأهل النار.

فمن الأدلّة على تفاوت أهل الجنّة في الدرجات ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قال: ((**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ – أُرَاهُ – فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ**))[2].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: ((**إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما يتراءون الكوكب الدري الغابر**[3] **في الأفق من المشرق والمغرب، لتفاضل ما بينهم. قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: بلى، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله، وصدقوا المرسلين**))[4].

---

[1] مجالس التذكير، ج1، ص181.

[2] رواه البخاري (2790) و(7423)، والترمذي (2529) وقال هذا حديث حسن صحيح، وأحمد (7923) و (8419) و (8420) و (8421) و (8474).

[3] الْكَوْكَب الدرى: المضيء شبه بالدر. الغابر: الْبَاقِي فِي الْمشرق أَو الْمغرب لم يغرب وَيُقَال لما مضى غبر إِلَّا أَنه للْبَاقِي هَاهُنَا لوُقُوع الرُّؤْيَة عَلَيْهِ. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، لمحمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح الحَمِيدي، ص232.

[4] متفق عليه: رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ماجاء في صفة الجنة، وأنها مخلوقة (3256)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف رقم (2831).

ومن الأدلّة على تفاوت أهل النار في الدركات قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [النساء: 145]. وهذا التفضيل الأخروي هو المراد بقوله تعالى: ﴿ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: 21].

. النّتيجة: يتفاوت أهل الجنّة في الدرجات، وأهل النار في الدركات على قدر أعمالهم في الدنيا، إن خيرا أو شرّا.

الفرع الرابع: هل يدخل الناس الجنة بأعمالهم، أم يدخلونها بفضل الله ورحمته؟

. أقوال ابن باديس:

قال . رحمه الله .: " قال الله تعالى: ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: 32]، فأفاد أن الأعمال سبب في دخول الجنة. وفي هذه الآية: ﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ ﴾ [النمل: 19]، فأفاد أن الدخول بالرحمة ولا منافاة ما بينهما. فالأعمال سبب شرعي لدخول الجنة[1]، والهداية إليه والتوفيق فيه وقبوله هو رحمة من الله جزاء؛ لأنه لا ينتفع به؛ إذ هو الغني عن خلقه، وإنما تفضل فجعله سبباً في نيل ثوابه، ثم تفضل فجعل الجزاء مضاعفاً إلى عشرة أضعاف كثيرة، إلى الموفي للصابرين أجرهم بغير حساب "[2].

وقال أيضا: " لما ذكر أعمالهم وصفاتهم، ذكر ما أعدّ لهم من عظيم الجزاء على تلك الأعمال تنبيها على ما وضعه تعالى بمشيئته وحكمته ورحمته من الارتباط بين هذه الأعمال وهذا الجزاء، وإفضائها إليه إفضاء السبب لمسببه، ليسعى الراجون لهذا الجزاء من طريق هذه الصفات وهذه الأعمال، كما يسعى لسائر المسببات من طريق أسبابها، وتؤتي جميع الأمور من أبوابها. وفي هذا حث لأهل هذه الأعمال على التمسك بما هم به عاملون. وتنبيه لأهل

---

[1] وبين . رحمه الله . أن أعظم ما يعين العبد على العمل في الدنيا لدار الجزاء، إنما هو " خلق الصبر "، فقال: " ومن أعظم الحكمة معرفة الأسباب والمسببات، وارتباط بعضها ببعض، فلا ينهض بامتثال المأمورات وترك المنهيات إلاّ من صبر، والصبر خلق من الأخلاق التي تتربى وتنمو بالمران والدوام، فواجب على المكلف أن يجعل تربية نفسه عليه، وتعويدها به من أكبر همه، إذ لا يقوم بالتكاليف الشرعية إلاّ به؛ بل ولا يستطيع الحياة في هذه الدار الدنيا الموضوعة على المحنة والابتلاء إلا إذا تمسك بسببه " مجالس التذكير، ج2، ص179.

[2] مجالس التذكير، ج2، ص223.

الغرور على بطلان ما هم به مغترون، والكَيِّسُ من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني[1] "[2].

. دراستها:

هل يدخل الناس الجنة بأعمالهم، أم برحمة الله ؟

قد بين النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأمر في الحديث الذي رواه أَبو هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ»[3].

قال شارح الطحاوية: " وَأَمَّا تَرَتُّبُ الْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ، فَقَدْ ضَلَّتْ فِيهِ الْجَبْرِيَّةُ وَالْقَدَرِيَّةُ، وَهَدَى اللَّهُ أَهْلَ السُّنَّةِ، وَلَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ. فَإِنَّ الْبَاءَ الَّتِي فِي النَّفْيِ غَيْرُ الْبَاءِ الَّتِي فِي الْإِثْبَاتِ، فَالْمَنْفِيُّ فِي قَوْلِهِ صَلَّى الله عليه وسلم: «لا يدخل أحدكم الجنة بِعَمَلِهِ» – بَاءُ الْعِوَضِ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ كَالثَّمَنِ لِدُخُولِ الرَّجُلِ إِلَى الْجَنَّةِ، كَمَا زَعَمَتِ المعتزلة أن العامل يستحق دُخُولَ الْجَنَّةِ عَلَى رَبِّهِ بِعَمَلِهِ! بَلْ ذَلِكَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ. وَالْبَاءُ الَّتِي فِي قَوْلِهِ تعالى: ﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿17﴾ ﴾ [السجدة: 17] ، وَنَحْوُهَا، بَاءُ السَّبَبِ، أَيْ بِسَبَبِ عَمَلِكُمْ، وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ خَالِقُ الْأَسْبَابِ وَالْمُسَبَّبَاتِ، فَرَجَعَ الْكُلُّ إِلَى مَحْضِ فَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ[4].

---

[1] حديث خرّجه أحمد في مسنده، قال محقق المسند: " إسناده ضعيف لضعف أبي بكر بن أبي مريم، وباقي رجال الإسناد ثقات. علي بن إسحاق: هو المروزي، وضمرة بن حبيب: هو ابن صُهيب الزُّبَيدي أبو عتبة الحمصي. وهو عند ابن المبارك في "الزهد" (171)، ومن طريقه أخرجه الطيالسي (1112)، والترمذي (2459)، والطبراني في "الكبير" (7143)، وفي "مسند الشاميين" (1485)، والحاكم 57/1 و251/4، وأبو نعيم في "الحلية" 267/1 و174/8، والقضاعي في "مسند الشهاب" (185)، والبيهقي في "السنن" 369/3، وفي "الشعب" (10546)، والخطيب في "التاريخ" 50/12، والبغوي في "شرح السنة" (4116)، وفي "التفسير" 305/2. قال الترمذي: هذا حديث حسن، وصححه الحاكم في الموضعين، فتعقبه الذهبي في الموضع الأول بقوله: لا والله، أبو بكر واه، ولم يتعقبه في الموضع الثاني. وأخرجه الترمذي (2459)، وابن ماجه (4260)، والبيهقي في "الآداب" (991)، والبغوي في "شرح السنة" (4117) من طرق عن أبي بكر بن أبي مريم، به. المسند ج28، ص 350.

[2] مجالس التذكير، ج2، ص175.

[3] متفق عليه: رواه البخاري ومسلم

[4] شرح الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي ص441.

. النّتيجة: شرع الله الأعمال الناس لتكون سببا في دخولهم إلى جنّته تفضلا منه ورحمة، فالسعيد من وفّقه لعمل الصّالحات، والشّقي من حال بينه وبينها.

الفرع الخامس: نعمة الرّضوان.

. أقوال ابن باديس:

قال ابن باديس: " شعور العبد برضى الله عنه، هو أعظم لذة روحية تعجز عن تصويرها الألسن. وإحلال الرضوان على أهل الجنة أكبر من كل ما في الجنة من نعيم؛ فالغاية التي يسعى إليها الساعون ويعمل لها العاملون هي رضى الله. فالعمل الصالح ترتضيه العقول، وتستعذبه الفطر، ولكنه لا يفيد صاحبه إذا لم يبغ به مرضاة الله؛ ولهذا قال سليمان – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: ﴿تَرْضَىٰهُ﴾ [النمل: 19]" [1].

. دراستها:

من أعظم نعيم الجنة إحلال الرضوان على أهلها، ويدل على ذلك ما رواه أَبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ . رضي الله عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: " إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالُوا: يَا رَبُّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا "[2].

. النّتيجة: كما أنّ أعظم النعيم في الجنّة رضوان الله على عباده، فإن أعظم النعيم في الدنيا عمل العبد الصالحات ابتغاء رضوان الله.

الفرع السّادس: لا يشهد لأحد من النّاس بجنّة أو نار.

. أقوال ابن باديس:

قال . رحمه الله .: " الله تعالى هو العالم ببواطن خلقه وسرائرهم وعواقب أمرهم، فيرحم من يشاء، ويعذب من يشاء، بحكمته وعدله: فلا يقطع لأحد بأنه من أهل النار لجهل العاقبة سواء كان من أهل الكفر، أو كان من أهل الفسق، أو كان من أهل الابتداع. كما لا يقطع

---

[1] مجالس التذكير، ج2، ص223.

[2] متفق عليه. رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار (6549)، و مسلم في الجنة وصفة نعيمها باب إحلال الرضوان على أهل الجنة (2829).

لأحد بالجنة كذلك، إلاّ من جاء النص بهم. فلا يقال للكافر عند دعوته أو مجادلته: إنك من أهل النار، ولكن تذكر الأدلة على بطلان الكفر، وسوء عاقبته. ولا يقال للمبتدع: يا ضال، وإنما تبين البدعة وقبحها. ولا يقال لمرتكب الكبيرة: يا فاسق، ولكن يبين قبح تلك الكبيرة وضررها وعظم إثمها. فتقبح القبائح والرذائل في نفسها، وتجتنب أشخاص مرتكبها. إذ رب شخص هو اليوم من أهل الكفر والضلال تكون عاقبته إلى الخير والكمال. ورب شخص هو اليوم من أهل الإيمان ينقلب- والعياذ بالله تعالى- على عقبه في هاوية الوبال. وخاطب الله تعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أنه لم يرسله وكيلاً على الخلق، حفيظاً عليهم، كفيلاً بأعمالهم. فما عليه إلاّ تبليغ الدعوة، ونصرة الحق بالحق، والهداية والدلالة إلى دين الله وصراطه المستقيم. خاطبه بهذا ليؤكد لخلقه ما أمرهم به، من قول التي هي أحسن للموافق والمخالف. فلا يحملنّهم بغض الكفر والمعصية على السوء في القول لأهلها، فإنما عليهم تبليغ الحق كما بلغه نبيهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. ولن يكون أحد أحرص منه على تبليغه؛ فحسبهم أن يكونوا على سنته وهديه[1].

. دراستها:

لا تجوز الشهادة لمعين بجنة أو نار أو نحو ذلك، إلا لمن شهد الله له بذلك في كتابه الكريم أو شهد له رسوله عليه الصلاة والسلام. وهذا هو الذي ذكره أهل العلم من أهل السنة فمن شهد الله له في كتابه العزيز بالنار كأبي لهب وزوجته، وهكذا من شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة كأبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان، وعلي وبقية العشرة رضي الله عنهم وغيرهم ممن شهد له الرسول عليه الصلاة والسلام بالجنة كعبد الله بن سلام، وعكاشة بن محصن رضي الله عنهما، أو بالنار، كعمه أبي طالب، وعمرو بن لحي الخزاعي وغيرهما ممن شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالنار، نعوذ بالله من ذلك. أما من لم يشهد له الله سبحانه ولا رسوله بجنة ولا نار فإنا لا نشهد له بذلك على التعيين. وهكذا لا نشهد لأحد معين بمغفره أو رحمة إلا بنص من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه

[1] مجالس التذكير، ج1، ص293

وسلم. ولكن أهل السنة يرجون للمحسن، ويخافون على المسيء، ويشهدون لأهل الإيمان عموما بالجنة وللكفار عموما بالنار[1].

. النّتيجة: لا يشهد لأحد من الناس أنه من أهل الجنة، أو أنه من أهل النار، إلا من ورد فيهم نّص من كتاب الله أو خبر عن المعصوم، أنهم من أهل الجنة أو أنهم من أهل النار.

المطلب الثالث: ثمرات مقصد الإيمان باليوم الآخر.

1- الرغبة في فعل الطاعات، والحرص عليها؛ رجاء لثواب ذلك اليوم، " فالمؤمن بالله يعمل موقناً برضاه، موقناً بلقائه وعظيم جزائه، فهو يعمل ولا يفشل، وسواء عليه أوصل إلى الغاية التي يسعى إليها، أم لم يصل إليها: بأن حال بينه وبينها موانع الدنيا أو مانع الموت، كانت مما تجنى ثماره في جيله أو لا تجنى ثماره إلاّ بعد أجيال "[(2)]. وقال ـ رحمه الله ـ بعد الحديث عن أهل الجنة وماهم فيه من نعيم : " هؤلاء السالكون، وما ذكر من أعمالهم وأحوالهم هو سلوكهم؛ ولما سلكوا الصراط المستقيم، بالعمل المستقيم، انتهى بهم السير إلى أحسن قرار ومقام، إلى دار النعيم المقيم، في جوار الرحمن الرحيم.

فإذا اشتقت إلى نهايتهم فتمسك ببدايتهم، وزن أعمالك بأعمالهم، وأحوالك بأحوالهم، فإذا جعلت ذلك من همك، وحملت عليه نفسك بصادق عزمك، وصبرت كما صبروا رجوت أن تظفر بما ظفروا[(3)].

2- الرهبة من فعل المعاصي، والحذر من الرضى بها؛ خوفا من عقاب ذلك اليوم، يقول ابن باديس ـ رحمه الله ـ : " على العاقل- وقد علم أنه محاسب على أفعاله وعلى آثار أقواله- ألاّ يفعل فعلاً ولا يقول قولاً حتى ينظر في عواقبه، فقد تكون تلك العواقب أضر عليه من أصل القول وأصل الفعل؛ فقد يقول القول مرة، ويفعل الفعل مرة، ثم يقتدي به فيه آلاف

---

[1] مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله (13/ 423).

[(2)] المرجع نفسه، ج1، ص 173.

[(3)] المرجع نفسه، ج 2، ص 180.

عديدة في أزمنة متطاولة. حقاً إن هذا لشيء تنخلع منه القلوب، وترتعد منه الفرائص، وصدق القائل من السلف رضي الله عنهم: "السعيد من ماتت معه سيئاته"[1].

3- تسلية المؤمن عما يفوته في الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: الآية 131]. والمتأمل في هذه الآية الكريمة يراها قد رسمت للمؤمن أفضل الطرق وأحكمها، لكي يحيا حياة فاضلة طيبة، حياة يعتز فيها صاحبها بالمعاني الشريفة الباقية، ويعرض عن المظاهر والزخارف الزائلة[2].

4- الصبر على الأذى، والمصائبِ، واحتسابُ الأجر عند الله، لأن يقينه باليوم الآخر يخفف عنه كل مصيبة، ويحمله على الصبر، فعَنْ صُهَيْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[3].

---

[1] المرجع نفسه، ج2، ص 306.

[2] محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط: 1، ج9، ص 169.

[3] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير (**2999**).

المبحث الخامس: مقصد الإيمان بالقدر،

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:معنى الإيمان بالقدر

المطلب الثاني: المقاصد الخاصة بالإيمان بالقدر

المطلب الثالث: ثمرات مقصد الإيمان بالقدر

المبحث الخامس: مقصد الإيمان بالقدر.

إن من أسباب سعادة المؤمن، وانشراح صدره في هذه الحياة، إيمانه بالقضاء والقدر، لأنه يعلم أن الأمور كبيرها وصغيرها كلها بتقدير الله تعالى فيرضى ويسلم، والإيمان بالقضاء والقدر من أهم ركائز العقيدة الإسلامية، وهو ركن من أركان الإيمان.

المطلب الأول: تعريف الإيمان بالقدر.

هو «الإقرارُ بأن الله –تعالى– علمَ كلَّ شيء وكتب مقادير كل شيء، وكلُّ شيء بإرادته ومشيئته وأنه خالقُ كلِّ شيء. يخلقُ ما يشاء فعّالٌ لما يريد، ما شاءَه كانَ، وما لم يشأْ لم يكنْ، بيده ملكوتُ كلِّ شيءٍ، يحي ويميت، وهو على كل شيء قديرٌ. يهدي من يشاءُ بفضله، ويضلُّ من يشاء بعدلِه، لا معقِّبَ لحكمِه، ولا رادَّ لقضائِه، خلق الخلقَ، وقدَّر أعمالَهم وأرزاقَهم وحياتَهم وموتَهم"[1].

ويتضمن الإيمان بالقدر[2] أمورا هي:

1 . قَدَرُ اللَّهِ تَعَالَى[3] هُوَ تَعَلُّقُ عِلْمِهِ وَإِرَادَتِهِ أَزَلًا بِالْكَائِنَاتِ كُلِّهَا قَبْلَ وُجُودِهَا، فَلَا حَادِثَ إِلَّا وَقَدْ قَدَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى، أَيْ سَبَقَ بِهِ عِلْمُهُ وَتَقَدَّمَتْ بِهِ إِرَادَتُهُ، فَكُلُّ حَادِثٍ فَهُوَ عَلَى وِفْقِ مَا سَبَقَ بِهِ عِلْمُ اللَّهِ وَمَضَتْ بِهِ إِرَادَتُهُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: 49]، وقوله سبحانه: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ [الأحزاب: 38]، – وَلِقَوْلِهِ فِي حَدِيثِ سُؤَالِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَام:" وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وِشَرِّهِ، حُلْوِهِ وَمُرِّهِ"[4].

---

[1] أركان الإيمان، ص 186.

[2] وللقدر أربع مراتب من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر، هي: العلم والكتابة والمشيئة والخلق. انظر شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم، ص29.

[3] لم يفرق الشيخ بين القضاء والقدر، ولعله لا يرى فرقا بينهما؛ لأن أحدهما يطلق على الآخر. للمزيد، انظر: القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، لعبد الرحمن بن صالح الحمود، ص40 وما بعدها.

[4] العقائد الإسلامية، ص 91.

2 . الْقَدَرُ مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ[1]: وَكَمَا سَبَقَ قَدَرُ اللَّهِ لِلْأَشْيَاءِ قَبْلَ أَن يَخْلُقَهَا كَذَلِكَ كَتَبَهَا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ قَبْلَ خَلْقِهَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴾ [الحديد: 22 و23]، وَلِحَدِيثِ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ:" كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَن يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ " رَوَاهُ مُسْلِمٌ[2].

3 . الْعَمَلُ بِالشَّرْعِ وَالْجِدِّ فِي السَّعْيِ مَعَ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ: الشَّرْعُ مَعْلُومٌ لَنَا، وَضَعَهُ اللَّهُ لِنُسَيِّرَ عَلَيْهِ أَعْمَالَنَا. وَالْقَدَرُ مَغِيبٌ عَنَّا، أَمَرَنَا اللَّهُ بِالْإِيمَانِ بِهِ لِأَنَّهُ مِنْ مُقْتَضَى كَمَالُ الْعِلْمِ وَالْإِرَادَةِ مِنْ صِفَاتِ رَبِّنَا. فَالْقَدَرُ فِي دَائِرَةِ الاِعْتِقَادِ، وَالشَّرْعُ فِي دَائِرَةِ الْعَمَلِ. وَعَلَيْنَا أَن نَّعْمَلَ بِشَرْعِ اللَّهِ وَنَتَوَسَّلَ إِلَى الْمُسَبِّبَاتِ الْمَشْرُوعَةِ بِأَسْبَابِهَا، وَنُؤْمِنُ بِسَبْقِ قَدَرِ اللَّهِ تَعَالَى فَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا قَدَّرَهُ مِنْهَا، فَمَنْ سَبَقَتْ لَهُ السَّعَادَةُ يُسِّرَ لِأَسْبَابِهَا، وَمَنْ سَبَقَتْ لَهُ الشَّقَاوَةُ يُسِّرَ لِأَسْبَابِهَا، لِحَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:" كُنَّا فِي جَنَازَةٍ، فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ فَأَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ، فَنَكَسَ، فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ ثُمَّ قَالَ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلاَّ كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلاَّ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ، فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى الشَّقَاوَةِ؟ فَقَالَ: اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ: أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَسَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَسَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴾ [الليل: 5 –10] "[3])[4].

---

[1] إشارة للمرتبة الثانية من مراتب القدر " الكتابة "، للارتباط الوثيق بينها وبين اللوح المحفوظ.

[2] العقائد الإسلامية، ص 92.

[3] متفق عليه، أخرجه البخاري (4946) و (4949) و (6217) و (6605) ، ومسلم (2647) (7).

[4] العقائد الإسلامية، ص 94.

4 . لاَ يُحْتَجُّ بِالْقَدَرِ فِي الذُّنُوبِ: لاَ يُحْتَجُّ بِالْقَدَرِ فِي الذُّنُوبِ لِأَنَّ حُجَّةَ اللَّهِ قَائِمَةٌ عَلَى الْخَلْقِ بِالتَّمَكُّنِ وَالاِخْتِيَارِ وَالدَّلَالَةِ الْفِطْرِيَّةِ وَالدَّلَالَةِ الشَّرْعِيَّةِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الزخرف: 20][1].

5 . الْحَذَرُ وَالْقَدَرُ: مَعَ الإِيمَانِ بِالْقَدَرِ يَجِبُ الْأَخْذَ بِالْحَذَرِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾ [النساء: 71][2].

6 . الْقَدَرُ كُلُّهُ عَدْلٌ: الْقَدَرُ كُلُّهُ عَدْلٌ وَحِكْمَةٌ، فَمَا يُصِيبُ الْعِبَادَ فَهُوَ جَزَاءُ أَعْمَالِهِمْ. وَقَدْ تُدْرَكُ حِكْمَةُ الْقَدَرِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ، لِأَنَّ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى: الْحَكِيمُ، وَرَدَ فِي الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الْكَثِيرَةِ. وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى: الْعَدْلُ، وَرَدَ فِي حَدِيثِ الْأَسْمَاءِ عِنْدَ التِّرْمِذِي، لِقَوْلِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي حَدِيثِ الْكَرْبِ «عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ»، ولِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: 30][3].

المطلب الثاني: المقاصد الخاصة بالإيمان بالقدر.

للإيمان بالقدر مقاصد، منها: اتخاذ الأسباب، والتسليم لحكمة الله في القدر، واليقين بعدل الله فيما يقضيه.

الفرع الأول: الفرق بين القضاء القدري والقضاء الشرعي.

. أقوال ابن باديس:

قال . رحمه الله .: " القضاء يكون بمعنى الإرادة، وهذا هو القضاء الكوني التقديري الذي لا يتخلف متعلقه فما قضاه الله لا بد من كونه. ويكون القضاء بمعنى الأمر والحكم، وهذا هو القضاء الشرعي الذي يمتثله الموفقون، ويخالفه المخذولون " [4].

---

[1] العقائد الإسلامية، ص 96.

[2] المرجع نفسه، ص 96.

[3] المرجع نفسه، ص97.

[4] مجالس التذكير، ج1، ص185.

وقال أيضا: " أحكام الله تعالى قسمان: أحكام شرعية، وهي التي فيها بيان ما شرعه لخلقه مما فيه انتظام أمرهم وحصول سعادتهم إذا ساروا عليه. وأحكام قدرية[1] وهي التي فيها بيان تصرفه في خلقه على وفق ما سبق في علمه وما سبق في إرادته. والأحكام الشرعية تقع من العباد مخالفتها، فيتخلف مقتضاها من الفعل أو الترك "[2].

. دراستها:

ومن الفروق أيضا: أن القضاء الكوني، يكون فيما يحبه الله ويكرهه، أما القضاء الشرعي فلا يكون إلا فيما يحبه الله، ومثال ما يكرهه الله مما يقضيه قدرا، ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: 4]، فالله سبحانه لا يحب الفساد في الأرض ولا يحب العلو، لكنه يقضي بذلك لحكمة بالغة، كما قسم خلقه إلى مؤمن وكافر؛ لما يترتب على ذلك من المصالح العظيمة[3].

. النّتيجة: قضاء الله شرعي وقدري، فالأول يحبه الله ويرضاه وقد يقع وقد لا يقع. والثاني قد يحبه الله ويرضاه وقد لا يحبه ولا يرضاه، ولكن لابدّ من وقوعه.

الفرع الثاني: اتخاذ الأسباب.

. أقوال ابن باديس:

قال . رحمه الله .: " الأسباب الكونية التي وضعها الله تعالى في هذه الحياة وسائل لمسبباتها، موصلة- بإذن الله تعالى- من تمسك بها إلى ما جعلت وسيلة إليه، بمقتضى أمر الله وتقديره وسنته في نظام هذه الحياة والكون، ولو كان ذلك المتمسك بها لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ولا يصدق المرسلين. ومن مقتضى هذا: أن من أهمل تلك الأسباب الكونية التقديرية الإلهية، ولم يأخذ بها لم ينل مسبباتها ولو كان من المؤمنين، وهذا معلوم ومشاهد من تاريخ البشر في ماضيهم وحاضرهم. نعم لا يضيع على المؤمن أجر إيمانه، ولكن جزاءه عليه في غير هاته

---

[1] وهذا مما يدل على أنه رحمه الله . لا يرى تفريقا بين القضاء والقدر، فعبر مرة بـ: " القضاء الكوني " ومرة بـ: " الأحكام القدرية " على معنى واحد.

[2] مجالس التذكير، ج1، ص307.

[3] محمد بن صالح بن محمد العثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط: 2، محرم 1424هـ، ج1، ص474.

الدار، كما أن الآخر لم يضع عليه أخذه بالأسباب، فنال جزاءه في دار الأسباب وليس له في الآخرة إلاّ النار[1].

وقال: " أسباب الحياة والعمران والتقدم فيهما مبذولة للخلق على السواء، و من تمسك بسبب بلغ- بإذن الله- إلى مسببه، سواء أكان براً أو فاجراً، مؤمناً أو كافراً. وهذا الذي أفادته الآية الكريمة[2] مشاهد في تاريخ المسلمين قديماً وحديثاً: فقد تقدموا حتى سادوا العالم، ورفعوا علم المدنية الحقة بالعلوم والصنائع لما أخذوا بأسبابها كما يأمرهم دينهم. وقد تأخروا حتى كادوا يكونون دون الأمم كلها بإهمال تلك الأسباب فخسروا دنياهم، وخالفوا مرضاة ربهم، وعوقبوا بما هم عليهم اليوم من الذل والانحطاط. ولن يعود إليهم ما كان لهم إلاّ إذا عادوا إلى امتثال أمر ربهم في الأخذ بتلك الأسباب. فهذه الآية من أنجع الدواء لفتنة المسلم المتأخر بغيره المتقدم[3]، لما فيها من بيان أن ذلك المسلم ما تأخر بسبب إسلامه، وأن غيره تقدم بعدم إسلامه؛ لأن السبب في التقدم والتأخر هو التمسك أو الترك للأسباب. ولو أن المسلم تمسك بها كما يأمره الإسلام، لكان- مثل سالف أيامه- سيد الأنام" [4].

. دراستها:

---

[1] مجالس التذكير، ج1، ص162.

[2] يريد قوله تعالى: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [الإسراء: الآية 20].

[3] قال . رحمه الله .: " كما يفتن الفرد بالفرد، كذلك تفتن الأمة بالأمة: من ذلك أننا- معشر الأمة الإسلامية- قد فتنا بغيرنا من أمم الغرب، وفتنوا هم أيضاً بنا: فنحن ندين بالإسلام وهو دين السعادة الدنيوية والأخروية ولكن حيثما كنا- إلاّ قليلاً- لسنا سعداء لا في مظاهر تديننا، ولا في أحوال دنيانا. ففي الأولى: نأتي بما يبرأ منه الإسلام، ونصرح بأنه من صميمه. وفي الثانية: ترانا في حالة من الجهل والفقر والذل والاستعباد يرثي لها الجماد.

فلما يرانا الغربيون على هذه الحالة ينفرون من الإسلام، ويسخرون منه، إلاّ من نظر منهم بعين العلم والإنصاف، فإنه يعرف أن ما نحن عليه هو ضد الإسلام. فكنا فتنة عظيمة عليهم، وحجاباً كثيفاً لهم عن الإسلام. فكنا- ويا للأسف- فتنة للقوم الظالمين. وهم من ناحيتهم نراهم في عز وسيادة، وتقدم علمي وعمراني، فننظر إلى تلك الناحية منهم فنندفع في تقليدهم في كل شيء، حتى معائبهم ومفاسدهم، ونزدري كل شيء عندنا حتى أعز عزيز. إلاّ من نظر بعين العلم فعرف أن كل ما عندهم من خير، هو عندنا في ديننا وتاريخنا، وأن ذلك هو الذي تقدموا وسادوا به. وأن ما عندهم من شر هو شر على حقيقته، وأن ضرره فيهم هو ضرره، وأنه لا يجوز أن يتابعوا عليه، فكانوا فتنة لنا حتى ينظر من ينظر بعين الحق للحقائق ممن تبهره الظواهر فتسلبه إدراكه فيغدو لا يفرق بين اللب والقشور ". مجالس التذكير (2 / 33).

[4] مجالس التذكير، ج1، ص178.

اتخاذ الأسباب لا يتنافى مع الإيمان بالقدر مطلقا، وإن وجد في المسلمين من يخلط بين الإيمان بالقدر وترك الأسباب، وتعليق الفشل وتبريره بالقدر، فلسوء فهمهم لهذه العقيدة، واختلال فهمهم لها، فإن نصوص الكتاب والسنة، وصنيع سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم، لم يفهموا التسليم للقدر بهذا الفهم السقيم، فعملوا وكدّوا، وأتعبوا أنفسهم في ابتغاء مرضاة الله، فجاهدوا، وصبروا ,وفتحوا البلاد والعباد، وأقاموا حكم الله تعالى في الأرض، وما وجد فيهم من يقعد به إيمانه بالقدر عن ذلك، بل كان القدر أكبر داع وأكبر عامل لهم ليقوموا بما قاموا به رضوان الله عليهم.

وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[1].

وقد قال عمر رضي الله عنه لأبي عبيدة لما جاء الخبر بانتشار الوباء في الشام، ورأى عمر الرجوع فقَالَ أَبُوعُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ: « أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟ » فَقَالَ عُمَرُ: « لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ؟ نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ، إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ، وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ، وَإِنْ رَعَيْتَ الجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ؟ »[2].

هكذا فهم الصحابة رضوان الله عليهم العلاقة بين الإيمان بالقدر والأخذ بالأسباب، وأن الأخذ بالأسباب داخل في معنى الإيمان بالقدر ولا ينافيه.

وَقَدْ ظَنَّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ التَّوَكُّلَ يُنَافِي الِاكْتِسَابَ وَتَعَاطِيَ الْأَسْبَابِ، وَأَنَّ الْأُمُورَ إِذَا كَانَتْ مُقَدَّرَةً فَلَا حَاجَةَ إِلَى الْأَسْبَابِ! وَهَذَا فَاسِدٌ، فَإِنَّ الِاكْتِسَابَ: مِنْهُ فَرْضٌ، وَمِنْهُ مُسْتَحَبٌّ، وَمِنْهُ مُبَاحٌ، وَمِنْهُ مَكْرُوهٌ، وَمِنْهُ حَرَامٌ، كَمَا قَدْ عُرِفَ فِي مَوْضِعِهِ. وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

[1] رواه مسلم في كتاب القدر، بَابٌ فِي الْأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ وَتَفْوِيضِ الْمَقَادِيرِ لِلَّهِ، (2664)، وأحمد (8791)، (8829).

[2] متفق عليه، رواه البخاري في كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون (**5729**)، ومسلم في كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، (**2219**).

أَفْضَلَ الْمُتَوَكِّلِينَ، يَلْبَسُ لَأْمَةَ الْحَرْبِ، وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لِلِاكْتِسَابِ، حَتَّى قَالَ الْكَافِرُونَ:﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَاكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْاَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان: 7][1].

وقد ركز ابن باديس على اتخاذ الأسباب كثيرا في ثنايا تفسيره، وتطرق إليها مرات عديدة، ورثى رحمه الله حال المسلمين اليوم، ونعى عليهم تفريطهم في الأخذ بالأسباب وتأخرهم عن الأمم التي فهمت سنن الله في الكون، فمعرفة الأسباب من أعظم أبواب النجاة[2].

. النّتيجة: اتّخاذ الأسباب لا يتنافى مع الإيمان بالقدر، فالله يقدّر ويجعل لأقداره أسبابا، والمؤمن يتّخذ الأسباب، وهو موقن أنها لا تؤثّر بذاتها، ولكن بتقدير المولى سبحانه.

الفرع الثالث: عدل الله سبحانه

. أقوال ابن باديس:

قال . رحمه الله .: " الله حكم عدل حكيم خبير؛ فما من حكم من أحكامه الشرعية إلاّ وله حكمته، وما من حكم من أحكامه القدرية إلاّ وله سببه وعلته. لا لوجوب أو إيجاب عليه، بل بمحض مشيئته، ومقتضى عدله وحكمته[(3)]. وقد قضى على كل قرية بهذه العاقبة من الهلاك

---

[1] شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، ص 245.

[2] قال . رحمه الله . : " قد ربط الله بين الأسباب ومسبباتها خلقاً وقدراً بمشيئته وحكمته، لنهتدي بالأسباب إلى مسبباتها، ونجتنبها باجتناب أسبابها. وقد عرفنا في الآيات المتقدمة بأسباب الهلاك والعذاب لنتقي تلك الأسباب فنسلم، أو نقلع عنها فننجو؛ فإن بطلان السبب يقتضي بطلان المسبب. وقد ذكر لنا في كتابه أمة أقلعت عن سبب العذاب فارتفع عنها بعد ما كاد ينزل بها، ليؤكد لنا أن الإقلاع عن السبب ينجي من السبب، فقال تعالى: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [يونس: 98]. فمبادرتهم للإيمان وإقلاعهم عن الكفر، كشف عنهم العذاب. وأرشدنا في ضمن هذا العلاج الناجع في كشف العذاب، وإبطال أسبابه، وهو الإيمان. مجالس التذكير: ج1، ص310.

[(3)] لا كما تقول المعتزلة، قال ابن تيمية: " وأما الإيجاب عليه سبحانه وتعالى، والتحريم بالقياس على خلقه، فهذا قول القدرية . أي المعتزلة . وهو قول مبتدع مخالف لصحيح المنقول وصريح المعقول، وأهل السنة متفقون على أنه سبحانه خالق كل شيء ومليكه، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأن العباد لا يوجبون عليه شيئا ". اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، (310/2).

والعذاب الشديد في هذه الآية[1]، وبين في غيرها سبب استحقاقها لهما فقال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ [الكهف: 59]. ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [هود: 117]. ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾ [القصص: 59]. ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ [الأنبياء: 11]. ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ [الطلاق: 8]. فأفادت هذه الآيات أن سبب الهلاك والعذاب هو الظلم، والفساد، والعتو، والتمرد، عن أمر الله ورسله، والكفر بأنعم الله. ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: 46][2].

. دراستها:

من أسماء الله الحسنى العدل الَّذِي كل أَفعاله وَأَحْكَامه سداد وصواب وَحق وَهُوَ سُبْحَانَهُ قد أوضح السبل وَأرْسل الرُّسُل وَأنزل الْكتب وأزاح الْعِلَل ومكّن من أَسبَاب الْهِدَايَة وَالطَّاعَة بالأسماع والأبصار والعقول وَهَذَا عدله ووفّق من شَاءَ بمزيد عناية وَأَرَادَ من نَفسه أَن يُعينهُ ويوفّقه فَهَذَا فَضله وخذل من لَيْسَ بِأَهْل لتوفيقه وفضله وخلى بَينه وَبَين نَفسه وَلم يرد سُبْحَانَهُ من نَفسه أَن يوفّقه فَقطع عَنهُ فَضله وَلم يحرمه عدله[3].

. النّتيجة: كلّ ماحكم به المولى سبحانه من أحكام، مضبوط بميزان العدل.

الفرع الرابع: التسليم لحكمة الله في القدر

. أقوال ابن باديس:

يقول ابن باديس:" ونظير الآيات الكونية، والآيات الكلامية، والأحكام الشرعية، في هذا الخفاء الجزئي تصرفات الله في خلقه بمجاري أقداره. فقد تظهر حكمة الله فيها، وقد تخفى.

---

(1) قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴾ [الإسراء: 58].

(2) مجالس التذكير، ج1، ص308.

(3) ابن القيم، الفوائد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 2، 1393 هـ - 1973 م، ص 25.

وقد تخفى دهراً وتظهر بعد مدة. وقد نبهنا الله على هذه الحقيقة، بما قص علينا في قصة يوسف عليه السلام، وما كان مجهولًا من حكم قدر الله في مبدأ أمره، وما ظهر من تلك الحكم الباهرة للقدر في آخر أمره. وبما قصه علينا في قصة أم موسى- عليه السلام- لما أوحى إليها بقذفه في اليم، وعدم الخوف عليه، وما كان من عواقب أمره... ففي خلق الله، وفي شرع الله، وفي قدر الله، وفي كلام الله، ما يخفى على العقول إدراك حقيقته، أو حكمته، أو معناه، لطفاً من الله بالإنسان وتنبيهاً له[1].

. دراستها:

واجب المسلم تجاه ما يقدره الله له التسليم والرضا، " فالرِّضَا بَابَ اللَّهِ الْأَعْظَمَ، وَجَنَّةَ الدُّنْيَا، وَمُسْتَرَاحَ الْعَارِفِينَ، وَحَيَاةَ الْمُحِبِّينَ، وَنَعِيمَ الْعَابِدِينَ، وَقُرَّةَ عُيُونِ الْمُشْتَاقِينَ "[2]، فإن حكمة الله في تقدير الأمور قد تخفى على العبد، وقد لا تظهر إلا بعد زمن، والواجب على المؤمن أخذ العبرة مما يقدره الله له، وترك التسخّط مما لم يتبين له فيه خير، فإن علم الإنسان قاصر و" قد رأيت كيف يقف العقل عاجزاً أمام بعض أسرار الخلق والقدر والشرع. والقرآن مع يقينه بما علم منها أن ما عجز عن إدراكه، ما هو إلاّ مثل ما عرف في كماله في الحق والحكمة والنعمة؛ إذ الجميع- ما عرف وما عجز عنه- من إله واحد حكيم خبير، رحمن رحيم. فليذكر الناظر في خلق الله، وقدره، وشرعه، وكلامه، دائماً هذه الحقيقة: وهي ثبوت الحق والحكمة والنعمة في جميعها... ويكون عمله في قدر الله هو الاعتبار في تصاريف القدر، واتعاظ بأحوال البشر، واستحصال قواعد الحياة من سير الحياة. فإذا رأى من تصاريف القدر ما لم يعرف وجهه ولم يتبين له ما فيه من عدل وحكمة وإحسان ورحمة ... فليذكر عجزه، وليذكر ظهور ما خفي عنه من مثل ذلك في وقت، ثم ظهر له؛ فيوقن أن هذا مثله، وأنه إذا طالت به الأيام قد يظهر له من وجهه ما خفي منه، فيتلقاه الآن بالتسليم والتنزيه، راداً علمه إلى الله تعالى، مفوضاً أمره إليه "[3].

---

[1] مجالس التذكير، ج2، ص256.

[2] ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: 3، 1416 هـ - 1996م، ج2، 172.

[3] مجالس التذكير، ج2، ص257.

. النّتيجة: ما من حكم شرعه الله إلّا ولله فيه رحمة وإن خفيت علينا، وما من قدر يقدّره الله لعبده، إلا ولله فيه حكمة، فالواجب على المسلم التسليم لأقدار الله والرضا بها.

الفرع الخامس: لا حجة لمن مات على كفره بما سبق من علم الله فيه.

. أقوال ابن باديس:

قال . رحمه الله .:" قامت حجة الله على خلقه بما ركب فيهم من عقل، وما مكنهم من اختيار، وما نصب لهم من آيات مشاهدات، وما أرسل إليهم من رسل بآيات بينات. وهذه كلها أمور معلومة لديهم، ضرورية عندهم، لا يستطيعون أن ينكروا شيئاً منها فلا يمكنهم أن يجحدوا ما عندهم من عقل ومن اختيار، ولا أن ينفوا ما يشاهدونه من الآيات في المخلوقات، ولا أن ينكروا مجيء الرسل إليهم وما تلوا عليهم من آيات. وبهذه الأشياء قامت حجة الله عليهم، وكان جزاؤهم على ما اختاروه بعدها لأنفسهم [1]. فأما ما سبق من علم الله فهو أمر مغيب عنهم، غير مؤثر فيهم؛ لأن العلم ليس من صفات التأثير ولا دافع لهم، فليس لهم أن يحتجوا به لأنفسهم؛ لأنهم لم يعملوا لأجله، كيف وهو مغيب منهم؛ وإنما عملوا باختيارهم الذي يجدونه بالضرورة من أنفسهم[2].

. دراستها:

هذا فرع عن مسألة الاحتجاج بالقدر على الذنوب، فكما لا يحتج بالقدر في القبائح، لا يحتج بما سبق من علم الله في خلقه، وليس ذلك على إطلاقه، فقد احتج آدم على موسى

---

[1] وقد ضرب . رحمه الله . مثالا تطبيقيا لما نظر له، فقال: تقريب: قد يكون لرجل ولدان هو عالم بنفسيتهما، وأخلاقهما، وسيرتهما. ثم يأمرهما بأمر فيه الخير لهما، وهو يعلم- بما علم من أحدهما- أنه يمتثل، ويعلم- بما علم من الآخر- أنه يخالف. ويقول لأهل بيته: إن فلاناً سيمتثل، وإن فلانا سيخالف. فيظهر ما قاله وما علمه في كل واحد منهما؛ فجازى الممتثل على طاعته، وجازى المخالف على عصيانه. فلا شك أن هذا الرجل قد أحسن إلى ولديه بما أمرهما به من خير، وفعل ما تقتضيه أبوته من النصح والإرشاد، ولا يقدح في ذلك علمه بما سيكون منهما. كما أن هذين الولدين قد نال كل واحد منهما ما سبق دون أن يكون للمخالف منهما حجة على مخالفته بما كان يعلمه منه أبوه. لله المثل الأعلى، فقد أحاط بكل شيء علماً، فعلم من سيطيعه ومن سيعصي. ولكنه الحكم العدل، فلم يكن ليجازيهم على سابق علمه فيهم، الذي لا دخل لهم فيه. بل جعل جزاءهم بعد إقامة الحجة عليهم بما يكون من اختيارهم، ليكون جزاؤهم على ما عملوا وما قدمت ايديهم وما لهم دخل فيه بالكسب والاكتساب. مجالس التذكير، ج2، ص288.

[2] مجالس التذكير، ج2، ص287.

بذنبه، ففي الحديث الصحيح: " احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَقَالَ مُوسَى: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُونَا، خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ فَقَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى، أَنْتَ اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ – وَقَالَ مَرَّةً: بِرِسَالَتِهِ –، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ قَالَ: حَجَّ آدَمُ مُوسَى، حَجَّ آدَمُ مُوسَى، حَجَّ آدَمُ مُوسَى " ، على أن الاحتجاج بالقدر على الذنب ينفع في موضع، ويضر في موضع، فينفع إذا احتج به بعد وقوعه والتوبة منه وترك معاودته كما فعل آدم، فيكون في ذكر القدر إذ ذاك من التوحيد ومعرفة أسماء الرب وصفاته وذكرها ما ينتفع به الذاكر والسامع، لأنه لا يدفع بالقدر أمرا ولا نهيا ولا يبطل به شريعة، بل يخبر بالحق المحض على وجه التوحيد والبراءة من الحول والقوة، يوضحه أن آدم قال لموسى أتلومني على أن عملت عملا كان مكتوبا علي قبل أن أخلق فإذا أذنب الرجل ذنبا ثم تاب منه توبة وزال أمره حتى كأن لم يكن فأنبه مؤنب عليه ولامه حسن منه أن يحتج بالقدر بعد ذلك ويقول هذا أمر كان قد قدر عليّ قبل أن أخلق فإنه لم يدفع بالقدر حقا ولا ذكره حجة له على باطل ولا محذور في الاحتجاج به وأما الموضع الذي يضر الاحتجاج به ففي الحال والمستقبل بأن يرتكب فعلا محرما أو يترك واجبا فيلومه عليه لائم فيحتج بالقدر على إقامته عليه وإصراره فيبطل بالاحتجاج به حقا ويرتكب باطلا كما احتج به المصرون على شركهم وعبادتهم غير الله فقالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾ [الأنعام: 148]، و ﴿ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ﴾ [الزخرف: 20]، فاحتجوا به مصوبين لما هم عليه وأنهم لم يندموا على فعله ولم يعزموا على تركه ولم يقروا بفساده فهذا ضد احتجاج من تبين له خطأ نفسه وندم وعزم كل العزم على أن لا يعود فإذا لامه لائم بعد ذلك قال كان ما كان بقدر الله، ونكتة المسألة أن اللوم إذا ارتفع صح الاحتجاج بالقدر وإذا كان اللوم واقعا فالاحتجاج بالقدر باطل[1].

[1] شفاء العليل، ص18.

. **النّتيجة**: للعبد في قدر الله ثلاث مراحل هي:

أ . تقوم حجة الله على العبد أولاً.

ب . ويعمل هو – كاسبا ومكتسبا – باختياره ثانياً.

ج . ويظهر لنا ما سبق من علم الله فيه بعد أن اختار ما اختار ثالثا[1].

المطلب الثالث: ثمرات مقصد الإيمان بالقدر.

وللقدر آثار كبيرة على الفرد وعلى المجتمع نجملها فيما يلي:

1.القدَرُ من أكبر الدواعي التي تدعو إلى العملِ والنشاطِ والسعيِ بما يرضي اللهَ في هذه الحياة، والإيمانُ بالقدر من أقوى الحوافز للمؤمن لكي يعملَ ويقدِمَ على عظائم الأمور بثباتٍ وعزمٍ ويقينٍ.

قال ابن باديس: " على المرء أن يقبل نعم الله تعالى، ويقبل عليها إقبال المستعظم لها، العارف بحقها، وعظيم الفضل بها، ليقوم بشكرها، وذكر الله عندها، وليتفحصها، وليتأملها نعمة نعمة، ليشكر الله عليها واحدة واحدة بالقلب واللسان والأركان، حسب المستطاع.

حتى ما يكون من باب المصائب والآلام، فإنه يتناوله على أنه نعمة من الله تعالى، بما فيه من أجر وتمحيص، وما يحصل به من رجوع وإنابة، وما يكون منه من تربية وتدريب على السلوك اللازم في الحياة الفردية والاجتماعية: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ بِمَا كَسَبَتَ اَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: الآية 30]. وليكن دائماً متمسكاً بحبل الرجاء في الله، تيسير الأسباب، وكشف الكروب، ودفع المكروه؛ فالرجاء حسن ظن في الرب، وقوة في القلب، وباعث على العمل، ومخفف أو مذهب للألم. فيا لها من عظيم أجرها، جليل نفعها في الدنيا والدين. فهنيئاً للشاكرين الراجين "[2].

2.ومنْ آثارِ الإيمان بالقدَر أن يعرفَ الإنسانُ قدْرَ نفسه، فلا يتكبَّر ولا يبطُر ولا يتعالى أبدًا؛ لأنهُ عاجزٌ عن معرفةِ المقدورِ، ومستقبلِ ما هو حادثٌ، ومن ثمّ يقرُّ الإنسان بعجزِه

---

[1] المرجع نفسه، ج2، ص288.

[2] المرجع السابق، ج 1، ص 366.

وحاجتِه إلى ربِّه تعالى دائمًا. وهذا من أسرارِ خفاءِ المقدور. قال تعالى: {لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} (23) سورة الحديد. قال ابن باديس: " على العبد أن يقبل ما فيه كماله وسعادته، ومرضاة خالقه، مما هداه الله إليه برسوله وكتابه، وجعل قبوله له سبباً في توفيقه وإخراجه من الظلمات إلى النور، وعليه أن يعتقد أنه لا ينال شيئا من التوفيق وحظًّا من النور إلاّ بإذن الله، أي إرادته وتيسيره، فلا يعتمد على نفسه ولا على أعماله، وإنما يكون اعتماده على الله، فيحمله ذلك على الاجتهاد في العمل، وعدم العجب به، ودوام التوجه إلى الله، وصدق الرجاء فيه، والخوف من عقابه، ودوام المراقبة له.

ولأجل لزوم هذا الاعتماد على الله الميسر للأسباب، الذي لا يكون في ملكه إلاّ ما أراد- قرن قوله: {يَهْدِي} و {يُخْرِجُهُمْ} بقوله: {بِإِذْنِهِ} "[1].

3.ومنْ آثارِ الإيمان بالقدَرِ أنه يطردُ القلقَ والضجرَ عند فواتِ المراد أو حصولِ مكروهٍ ، لأنَّ ذلك بقضاءِ الله تعالى الذي له ملكُ السموات والأرض، وهو كائنٌ لا محالةَ، فيصبرُ على ذلك ويحتسبُ الأجرَ، وإلى هذا يشيرُ الله تعالى بقوله: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴾ [الحديد: 22 و 23].

قال ابن باديس . رحمه الله . : " فقد أحاط الله بكل شيء علماً، فهو غني بعلمه عن هذه الكتابة، ولكنه جعل هذا الكتاب إظهاراً لعظمة ملكه وليعلم عباده الضبط والإحصاء في جميع أمورهم وليبالغوا في محاسبة أنفسهم وليعلموا أن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، وما أخطأهم لم

[1] المرجع نفسه، ج 1، ص 116.

يكن ليصيبهم[1]، فيزول من قلوبهم الخوف من الحوادث والمخلوقات وتعظم ثقتهم بالله. وفي ذلك أعظم قوة في هذه الحياة، وأكبر راحة للقلب من صروفها " [2].

4.الإيمانُ بالقدَر يقضي على كثيرٍ من الأمراض التي تعصفُ بالمجتمعات، وتزرعُ الأحقادَ بين المؤمنين، وذلك مثلُ رذيلةِ الحسَدِ، فالمؤمنُ لا يحسدُ الناس على ما آتاهم اللهُ من فضله؛ لأنه هو الذي رزقَهم وقدَّر لهم ذلك، وهو يعلم أنه حين يحسدُ غيره إنما يعترضُ على المقدورِ، قال تعالى عن اليهود: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: 54].

تـنـبـيـه:

لم أتطرّق إلى مقاصد الركن السادس من أركان الإيمان، وهو الإيمان بالملائكة، لعدم تطرق ابن باديس في تفسيره، إلى هذا الركن إلا ما كان في مسألة المفاضلة بين الملائكة وبين بني آدم[3].

---

[1] كما ورد في الحديث عن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من طريق أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت؛ وفي الحديث: « ... ولو أنفقت مثل أحد ذهباً في سبيل الله تعالى ما قبله الله تعالى منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لدخلت النار». أخرجه أبو داود في سننه (كتاب السنة، باب 16، حديث رقم 4699).

[2] مجالس التذكير، ج2، ص 308.

[3] المرجع نفسه، ج1، ص318.

خـــــاتـمـــة

خـــــــاتـــمـة

تناول هذا البحث مقاصد القرآن الإيمانية عند ابن باديس من خلال تفسيره مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ومدى استحضار المفسر لهذه المقاصد في تفسيره، وبعد الانتهاء من تحرير الأجوبة على الاستفهامات التي طرحت في الإشكالية توصل الباحث إلى نتائج أهمها:

- أولا: لابن باديس رؤية شاملة لمقاصد القرآن الكريم في تفسيره، عبّر عنها أكثر من مرة، وتلحظ جليّة في ثنايا تفسيره، خاصة المقاصد القرآنية الكبرى المتعلقة بالعقائد، والآداب والأحكام.
- ثانيا: مقصد الإيمان بالله تعالى هو المقصد الذي نال النصيب الأوفر، وتركيز ابن باديس في هذا المقصد كان منصبّا على إصلاح العقيدة في الله؛ لاسيما قضية دعاء غير الله من الأولياء والصالحين.
- ثالثا: لا وجود لذكر مقصد الإيمان بالملائكة في تفسير ابن باديس، إلا في قضية المفاضلة بينهم وبين عباد الله الصالحين، والسبب في ذلك أن التفسير الموجود بأيدينا إنما هو جزء صغير من تفسيره.
- رابعا: مقصدي الإيمان بالكتب والرسل من أعظم مقاصد القرآن، وأكثر عرض ابن باديس لهذين المقصدين، كان فيما يتعلق بالقرآن الكريم وبالنبي محمد صلى الله عليه وسلم.
- خامسا: الإيمان باليوم الآخر مقصد حرص ابن باديس على تقريره في تفسيره، وإزالة اللّبس الذي قد يعتري المؤمن في تصوره لأحداث هذا اليوم.
- سادسا: لابن باديس طريقة فريدة في تقرير مسائل الإيمان بالقدر من خلال تصحيح التصورات والمفاهيم المغلوطة، التي كانت سائدة في المجتمع الجزائري في تلك الحقبة، بضرب الأمثلة، والتّكرار لقضية اتخاذ الأسباب وعدم خلطها بمقام التوكل.

وفي ختام البحث أوصي الباحثين بضرورة دراسة أنواع مقاصد القرآن الأخرى في مجالس التذكير، وهي:

- المقاصد الخلقية والسلوكية في مجالس التذكير.
- المقاصد التشريعية في مجالس التذكير.
- المقاصد الاجتماعية في مجالس التذكير.
- المقاصد العلمية الفكرية في مجالس التذكير.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما كثيرا.

الفهارس العلميـة

فهرس الآيـــات القرآنيـــــة

الآيـــــــــة	السورة	رقم الآيـة	الصفحة
﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ ﴾	النساء	**08**	**40**
﴿ ٱمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ﴾		54	102
﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾		56	78
﴿ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّٰلِحِينَ ﴾		69	44
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾		71	91
﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾		145	82
﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ ﴾		.163	62
﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾		165	72
﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾		174	50
﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾	المائدة	3	63
﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ ﴾		8	67
﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ ﴾		15	70
﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾		48	59 ,46
﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾		48	57
﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾		50	57

﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾	الأنعام	50	66
إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ		79	32
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾		90	63
﴿ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾		148	99
﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾		162	32
﴿ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾	الأعراف	50	78
﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ ﴾		54	31
﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ ﴾		157	47
﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ ﴾		180	32
﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ ﴾		187	76
﴿ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ ﴾	التوبة	72	78
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴾		73	56
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ ﴾	يونس	57	50
﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ ﴾		58	58
﴿ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ ﴾		98	89
﴿ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ﴾	هود	103و104	76
﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ ﴾		106و 107	77

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾	هود	108	72
﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ ﴾		117	96
﴿ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ ﴾	يوسف	108	33
﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾		108	37
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا ﴾	الرعد	من4 إلى 6	30
﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ ﴾	إبراهيم	1	47
﴿ قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ ﴾		11	64
﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾		13	30
﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا ﴾		28	68
﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾	الحجر	9	47
﴿ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾		22	48
﴿ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾		29	64
﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾	النحل	32	82
﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ﴾		44	48
﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴾		89	51
﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ ﴾		97	77
﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ ﴾		112	90

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ ﴾	الإسراء	4	92
﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾		12	49
﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ﴾		20	88
﴿ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾		21	82
﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾		23	86
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ ﴾		57	62
﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا ﴾		58	90
﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾		79	71
﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ﴾		110	32
﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ ﴾	الكهف	59	96
﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾	مريم	65	31
﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾		71 و 72	77
﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾	طه	41	64
﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾		131	87
﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾	الأنبياء	11	96
﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾		22	31
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ ﴾		25	35 و36

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾	الأنبياء	30	48
﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾		47	77
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾		107	67
﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾		104	77
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ ﴾	الحج	5	79
﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ ﴾	المومنون	91	31
﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ ﴾	الفرقان	7	64 و95
﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ﴾		30	55
﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾		68	38
﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾		73	55
﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾	الشعراء	3	67
﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴾		208	72
﴿ تَرْضَىٰهُ ﴾	النمل	19	84
﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ ﴾		65	66
﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ ﴾	القصص	85	77
﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ ﴾		59	96
﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ ﴾	العنكبوت	48	63

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾	العنكبوت	61	34
﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾	السجدة	5	31
﴿ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾		17	83
﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾	الأحزاب	21	68
﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾		38	89
﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾		40	63
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾		57	63
﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾		72	64
﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾	فاطر	3	31 و33
﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾		10	44
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾		15 إلى 17	31
﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾	يس	3	68
﴿ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾	الصافات	37	68
﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾	ص	5	36
﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾	غافر	60	40
﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾	فصلت	6	74
﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾		46	96

﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾	الشورى	11	31
﴿ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖ ﴾		15	46
﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ ﴾		30	91 و 101
﴿ وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۖ ﴾	الزخرف	20	100
﴿ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ ﴾		32	81
﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾	الجاثية	21 و 22	77
﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ ﴾		26	77
﴿ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾	الأحقاف	9	68
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾	محمد	24	55
﴿ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ ﴾	الذاريات	49	48 و49
﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴾	النجم	45	79
﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴾	القمر	49	89
﴿ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ﴾	الواقعة	58	79
﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾	الحديد	22 و 23	90 و101
﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾		25	62
﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُۖ ﴾	الحشر	7	47
﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ إِسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾	الممتحنة	4	37

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ ﴾	الطلاق	8	96
﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴾	القيامة	37	79
﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾	المرسلات	43	78
﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝5 وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴾	اليل	من 5 إلى 10	90
﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝6 ﴾	الضحى	6	65
﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾	الزلزلة	7 و 8	77
﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾.	الإخلاص	من1 إلى 4	31

فهرس الأحاديث النبوية والآثار

طرف الحديـــــــــث	الصفحة
« أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه، فصرعه، فشقّ عن قلبه... »	65
« ارفع رأسك وقل يُسمعْ واشفعْ تشفع»	72
« فرج سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل صلى الله عليه وسلم، ففرج صدري... »	65
«احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَقَالَ مُوسَى: يَا آدَمُ»	84
«إذا كان يوم القيامة، كنت إمام الأنبياء وخطيبهم. وصاحب شفاعتهم غير فخر»	65
«ان الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتْلة »	67
«إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ»	84
«إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم»	81
«أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والقدر خيره وشره»	29 و83
«إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله»	81

«الدعاء مخ العبادة»	39
«الدعاء هو العبادة»	39
«السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»	44
«عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ»	87
«عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ»	85
«كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَن يَّخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ»	90
«كُنَّا فِي جَنَازَةٍ، فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ فَأَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ... »	90
«الكَيِّسُ من دان نفسه وعمل لما بعد الموت»	83
«لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ»	83
«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلاَّ كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ»	84
«مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا»	74
«من دعاكم فأجيبوه »	40
«المؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ... »	94
«هو المقام الذي أشفع لأمتى فيه»	65
«وعظَنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآلِه وسلَّمَ مَوعظةً ذَرَفَتْ منها العيونُ»	66
«ولو أنفقت مثل أحد ذهباً في سبيل الله تعالى ما قبله الله تعالى»	102
«يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه»	80
«يخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنْ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً... »	78

الأعلام المُترجَم لهم

العَلَم	موضع الترجمة
البشير الإبراهيمي	11
البغوي	21
بلكين بن زيري	06
أبو حامد الغزالي	23
حمدان الونيسي	09
الطاهر بن عاشور	10
ابن العربي	14
العز بن عبد السلام	24
فخر الدين الرازي	24
فضيل الورثلاني	13
القاضي عياض	10
مبارك الميلي	13
محمد أبو الفضل الجيزاوي	12
محمد الخضر بن الحسين	13
محمد النخلي	10
محمد بخيت المطيعي	12
محمد رشيد رضا	24
محمد عبد العظيم الزرقاني	25
المعز لدين الله الفاطمي	06
الهادي السنوسي	13

قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
2. آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي ، جمع وتقديم: نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط: 1، 1997م،
3. https://www.marefa.org/ولاية_قسنطينة.
4. ابن باديس وعروبة الجزائر، محمد الميلي، وزارة الثقافة الجزائر، 2007.
5. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: 2، 1420هـ - 1999 م
6. آثار ابن باديس، عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ط: 1، 1968م
7. الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الأندلسي، تح: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت
8. الأذكار للنووي، تح: عبد القادر الأرنؤوط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 1414 هـ - 1994 م
9. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، 1415 هـ - 1995 مـ.
10. أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي ، حازم القاضي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط: 2، 1422هـ.
11. الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين، ط:15 ، 2002 م.
12. اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية.
13. الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، مراجعة وتقديم: فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن صالح، مدار الوطن للنشر، الرياض، ط: 1، 1424 هـ - 2003 م
14. البحر المحيط، لأبي حيان، دار الكتب العلمية، ط: 1، 1993م.

15. تاريخ ابن خلدون، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط: 2، 1408 هـ - 1988 م.
16. تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، عبد العزيز سالم، مؤسسة شباب الجامعة، ط 2، الإسكندرية، 1999 م،
17. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 هـ.
18. ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، مطبعة فضالة – المحمدية، المغرب، ط: 1.
19. تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، اعتنى به: أبو عبد الرحمن محمود، مج 1، دار الرشيد، الجزائر، دار ابن حزم، بيروت، ط 2، 2011م.
20. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط: 1.
21. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، لمحمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح الحَمِيدي، تح: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة – القاهرة – مصر، ط: 1، 1415 – 1995.
22. التمهيد لابن عبد البر، تح: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، 1387 هـ.
23. تهذيب اللغة، الأزهري، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: 1، 2001م.
24. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1420هـ -2000 م.
25. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الكتب العلمية ، ط: 1، 1992م.
26. جريدة الشهاب، ج14، م 14، ربيع الثاني، جمادى الأولى 1257هـ يونيو، يوليو 1928م.

27. جهاد عبد الحميد بن باديس ضد الاستعمار، عبد الرشيد زروقة، دار الشهاب، ط1، لبنان،1999م.
28. جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن الكريم، المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه، في موضوع: جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه، جامعة سطيف الجزائر.
29. جواهر القرآن، الغزالي، تح: محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط: 2، 1406 هـ - 1986 م.
30. ديوان محمد العيد آل خليفة، دار الهدى، عين مليلة – الجزائر، 2010م.
31. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط: 1 - 1412 هـ.
32. رجال الإصلاح، محمود الشيخ،دار اليازوري، عمان، دط، 2007م
33. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 1، 1415 هـ.
34. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: 1 - 1422 هـ.
35. زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط: 27 ، 1415هـ /1994م.
36. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الألباني، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1412 هـ / 1992 م.
37. سنن ابن ماجه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
38. سنن أبي داود، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

39. سنن البيهقي، تح: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية (الدكتور / عبد السند حسن يمامة)، ط: 1، 1432 هـ - 2011 م.
40. سنن الترمذي، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، 1998 م.
41. سنن الدارمي، تح: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1412 هـ - 2000 م.
42. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد مخلوف، دار الكتب العلمية، لبنان، ط: 1، 1424 هـ - 2003 م.
43. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للّالكائي، تح: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة – السعودية، ط: 8، 1423هـ / 2003م.
44. شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، تح: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط: 1 - 1418 هـ.
45. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1398هـ/1978م.
46. الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، تركي رابح.
47. الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي، تركي رابح عمامرة،ط5، 2001م.
48. الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، تركي رابح، الشركة الوطنية، الجزائر، ط2، 1974.
49. صحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط: 1، 1422هـ.
50. صحيح الجامع الصغير، الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي.

51. صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
52. صراع بين السنة والبدعة، أحمد حماني.
53. عبد الحميد بن باديس العالم الرباني، والزعيم السياسي، مازن صلاح المطبقاني، دار القلم، ط2، دمشق، 1999م.
54. عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية"، مصطفى محمد حميداتو، من منشورات: كتاب الأمة، العد:57، قطر، 1418 هـ، ط: 1.
55. الْعَقَائِدُ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ، ابن باديس، رواية: محمد الصالح رمضان، مكتبة الشركة الجزائرية مرازقه بو داود وشركاؤهما، الجزائر، ط: 2.
56. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، دار المعرفة – بيروت، 1379، رقمه: محمد فؤاد عبد الباقي، صححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، علق عليه: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
57. الفتح الرباني، الشوكاني، تح: أبو مصعب بن حسن حلاق، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء – اليمن.
58. الفوائد، ابن القيم، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 2، 1393 هـ – 1973 م.
59. الفوائد، لابن القيم، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 2، 1393 هـ – 1973 م.
60. القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، لعبد الرحمن بن صالح الحمود.
61. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبد السلام، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، 1414 هـ – 1991 م.
62. القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط: 2، محرم 1424هـ.
63. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت.

64. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر – بيروت، ط: 3 - 1414 هـ.
65. مجالس التذكير، اعتنى به وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبد الرحمن محمود، دار الرشيد، ط1، 1430هـ. 2009م.
66. مجالس التذكير، جمع وترتيب: توفيق محمد شاهين، محمد الصالح رمضان، علق عليه وخرج آياته وأحاديثه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط2، 1423هـ. 2003م.
67. مجالس التذكير، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ط1، دار البعث، 1402هـ. 1982م، قسنطينة الجزائر.
68. مجلة عالم الفكر الكويتية، العدد3، ج1.
69. مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.
70. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهانى، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط: 1، 1420 هـ.
71. محمد الصالح الصديق: جهاد ومواقف، مجلة الوعي.
72. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم ، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: 3، 1416 هـ - 1996م.
73. مذكرة التوحيد، لعبد الرزاق عفيفي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1420هـ.
74. مستدرك الحاكم، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 1، 1411 – 1990.
75. مسند أحمد، تح: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، ط: 1، 1416 هـ - 1995 م.

76. معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، تح : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط : 1 ، 1420 هـ.
77. معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت لبنان، 1980، ط: 2.
78. معجم المؤلفين، عمر كحالة، مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.
79. مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، دار الكتب العلمية، ط: 1، 1990م.
80. مقاربات " مقاصد القرآن الكريم "، دراسة تاريخية، مجلة التجديد، عبد الرحمن حللي، المجلد20، العدد39، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا.
81. المقاصد الإيمانية في جزء قد سمع من خلال: (أيسر التفاسير لكلام العلي القدير) لأبي بكر جابر الجزائري، عبد الله عثمان علي المنصوري، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، العدد العشر.
82. مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، علال الفاسي، دار الغرب الإسلامي، ط: 5، 1993.
83. مقاصد الشريعة الإسلامية، الطاهر بن عاشور، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1425 هـ – 2004 م.
84. مقاصد القرآن الكلية وأهميتها في التفسير الموضوعي للموضوع القرآني، بحث مقدم لمؤتمر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم (واقع وآفاق)، جامعة الشارقة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 11 . 12 جمادى الأولى 1431هـ الموافق 25 . 26 / 4 / 2010م.
85. مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 1429هـ، 2008م.
86. مقاصد المقاصد الغايات العلمية والعملية لمقاصد الشريعة، الريسوني، مركز المقاصد للدراسات والبحوث، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، بيروت 2013م.

87. مقاييس اللغة، لابن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
88. مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط: 3، ط2.
89. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: 2، 1392.
90. موطأ مالك، تح: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي – الإمارات، ط: 1، 1425 هـ - 2004 م.
91. النبوات، تح: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1420هـ/2000م.
92. نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، الريسوني، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط: 2 - 1412 هـ - 1992م.
93. الواضح في أَركانُ الإيمانِ، علي بن نايف الشحود، بهانج دار المعمور، ط1.
94. وثائق جديدة من جوانب خفية في حياة الإمام عبد الحميد بن باديس. عبد العزيز فيلالي.
95. الوحي المحمدي، رشيد رضا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 1، 1426 هـ - 2005 م.
96. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، تح: إحسان عباس، دار صادر – بيروت.

فهرس الموضـــــوعات

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
إهـــــــــداء	
شكر وتقديـــــر	
الملخص	
مقـدمـــة	أ
مبحث تمهيدي	**06**
المطلب الأول: ترجمة مختصرة لابن باديس	**06**
الفرع الأول: اسمه ونسبه	**06**
الفرع الثاني: مولده ونشأته	**08**
الفرع الثالث: طلبه للعلم ورحلته فيه	**09**
الفرع الرابع: شيوخه وتلاميذه	**12**
الفرع الخامس: مؤلفاته	**13**
الفرع السادس: وفاته	**15**
المطلب الثاني: التعريف بمجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير	**15**
الفرع الأول: اسم الكتاب	**15**
الفرع الثاني: مجالس التذكير الشفوي	**16**
الفرع الثالث: المصادر التي اعتمدها في تفسيره	**17**
الفرع الرابع: جمعه وأشهر طبعاته	**18**
الفرع الخامس: قيمته العلمية	**19**
المطلب الثالث: مقاصد القرآن الإيمانية	**20**

الفرع الأول: تعريف مقاصد القرآن	20
الفرع الثاني: فوائد معرفة مقاصد القرآن	22
الفرع الثالث: أنواعها	23
الفرع الرابع: علاقتها بمقاصد الشريعة	26
الفرع الخامس: مقاصد القرآن عند ابن باديس	26
الفرع السادس: المقاصد الإيمانية	27
المبحث الأول: مقصد الإيمان بالله تعالى	30
المطلب الأول: معنى الإيمان بالله	30
المطلب الثاني: المقاصد الخاصة بالإيمان بالله	32
الفرع الأول: تنزيه الله تعالى	32
الفرع الثاني: التوحيد الذي لأجله بعثت الرسل	34
الفرع الثالث: البراءة من المشركين	36
الفرع الرابع: الدعاء والعبادة	38
الفرع الخامس: الإيمان بالأسماء والصفات	41
المطلب الثالث: ثمرات مقصد الإيمان بالله	42
المبحث الثاني: مقصد الإيمان بالكتب.	46
المطلب الأول: تعريف الإيمان بالكتب	46
المطلب الثاني: المقاصد الخاصة بالإيمان بالكتب	48
الفرع الأول: القرآن كلام الله ووحيه	48
الفرع الثاني: نور القرآن	50
الفرع الثالث: القرآن هو المصدر الأول لعقائد الإسلام	51
الفرع الرابع: القرآن شفاء	52
الفرع الخامس: هجر القرآن	54

الفرع السادس: الجهاد بالقرآن	56
المطلب الثالث: ثمرات مقصد الإيمان بالكتب	57
المبحث الثالث: مقصد الإيمان بالرسل	61
المطلب الأول: تعريف الإيمان بالرسل	61
المطلب الثاني: المقاصد الخاصة بالإيمان بالرسل	63
الفرع الأول: كمال الأنبياء والرسل وبشريتهم.	63
الفرع الثاني: الأنبياء لا يعلمون من الغيب إلا ما أعلمهم الله به	65
الفرع الثالث: رحمة الرسل بالخلق	66
الفرع الرابع: محمد رسول الله	68
الفرع الخامس: نور محمد صلى الله عليه وسلم	70
الفرع السادس: المقام المحمود	71
المطلب الثالث: ثمرات مقصد الإيمان بالرسل	72
المبحث الرابع: مقصد الإيمان باليوم الآخر	76
المطلب الأول: تعريف الإيمان باليوم الآخر	76
المطلب الثاني: المقاصد الخاصة بالإيمان باليوم الآخر	78
الفرع الأول: طرق القرآن في إثبات البعث	78
الفرع الثاني: التسليم لأخبار اليوم الآخر	80
الفرع الثالث: تفاوت الناس في الدرجات يوم القيامة على حسب أعمالهم	80
الفرع الرابع: هل يدخل الناس الجنة بأعمالهم، أم يدخلونها بفضل الله ورحمته	82
الفرع الخامس: نعمة الرضوان	84
الفرع السادس: لا يشهد لأحد من الناس بجنة أو نار	84
المطلب الثالث: ثمرات مقصد الإيمان باليوم الآخر	86
المبحث الخامس: مقصد الإيمان بالقدر	89

المطلب الأول: تعريف الإيمان بالقدر	**89**
المطلب الثاني: المقاصد الخاصة بالإيمان بالقدر	**91**
الفرع الأول: الفرق بين القضاء القدري والقضاء الشرعي	**91**
الفرع الثاني: اتخاذ الأسباب	**92**
الفرع الثالث: عدل الله سبحانه	**95**
الفرع الرابع: التسليم لحكمة الله في القدر	**97**
الفرع الخامس: لا حجة لمن مات على كفره بما سبق من علم الله فيه	**98**
المطلب الثالث: ثمرات مقصد الإيمان باليوم الآخر	**100**
الخـــــــــاتـــــمة	**104**
الفهـــــــارس العلميـــــــة	
فهرس الآيـــات القرآنيـــة	**107**
فهرس الأحاديـــــــــث النبوية والآثار	**114**
فهرس الأعلام المترجم لهم	**116**
قائمة المصادر والمراجع	**117**
فهرس الموضـــــــــوعات	**125**